

سيد مرعى:
أعلم أن وزير الداخلية كاذب!

كان المهندس سيد مرعى رجلا ذكيا وسياسيا محنكا خابر الحياة السياسية من مختلف جوانبها فكان وزير زراعة الإصلاح الزراعى فى عهد جمال عبد الناصر ثم الرجل المغضوب عليه والمهدد بالاعتقال فى أى لحظة، ثم رئيس مجلس الشعب وصهر الرئيس فى عهد أنور السادات، ثم السياسى المتقاعد فى عهد حسنى مبارك، وقد أكسبه ذلك نظرة شاملة جعلته يرى الواقع على حقيقته دون تزييف ولا تجميل.



سيد مرعى

كانت تربطنى بالمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب الأسبق علاقات أسرية ممتدة عبر السنين تعود إلى سنوات دراسته حين تزامن مع والدى بكلية الزراعة فجمعت بينهما صداقة قوية جعلتهما أكثر من الأشقاء وامتدت لتشمل بقية أفراد أسرة كل منهما.

لذلك كان من الطبيعي أن يكون سيد مرعى هو أول من اتصل بأسرتى ليطمئن على حين علم باعتقالى فى انتفاضة يناير ١٩٧٧م، ففى يوم ١٧ يناير من ذلك العام عمت جميع أنحاء البلاد انتفاضة شعبية عارمة لم تكن البلاد قد شهدت مثلها منذ أحداث ثورة ١٩١٩م، وقد حجزت يومها فى (الأهرام) غير قادر على الخروج منه بسبب المظاهرات التى أغلقت جميع الشوارع والتى قام بعض المشاركين فيها بالاعتداء على عدد من المنشآت العامة بوسط البلد حيث مقر الجريدة، وهكذا لم أتمكن من العودة إلى منزلى إلا فى ساعة متأخرة من الليل.

وما هى إلا ساعات قليلة حتى أيقظنى بمنزلى بالمعادى زوار الفجر الذين كان يحلو للرئيس السادات أن يؤكد فى أحاديثه السنوية لرئيسة التلفزيون همت مصطفى بمناسبة عيد ميلاده أنه قد أوقفهم (لأنى أنا شخصيا عانيت منهم يا همت يا بنتى)! وهكذا منع نهائيا - على حد زعمه - تلك الممارسات التى كانت تجرى فى العهود السابقة كما كان يقول إنه فى ظل دولة القانون التى أرساها لم يعد يتم القبض على أى مواطن إلا بإذن من النيابة.

ومنذ لحظة مغادرتى المنزل مع زوارى فى فجر ذلك اليوم والذين لم يكونوا يحملون إذنا من النيابة، غابت عن أسرتى أى أخبار عنى أو عن مكان وجودى، وبعد عدة أيام خرجت صحف الصباح حاملة (مانشيت) رئيسى يحمل عناوين مؤتمر صحفى كان قد عقده فى اليوم السابق رئيس الوزراء ممدوح سالم وأعلن فيه أنه تم التوصل إلى (رؤوس الفتنة) على حد قوله، وأنه قد تم القبض فى هذا الإطار على أربعة صحفيين هم فيليب جلاب وحسين عبد الرازق ومحمد سلماوى ويوسف صبرى!!

ولقد شعرنا نحن الأربعة فى زنازنتنا بسجن الاستئناف بفخر كبير لا أساس له لأننا - بناء على تلك المعلومات المغلوطة - تمكنا من تحريك الشعب المصرى كله من الإسكندرية إلى أسوان، وربما كنت أنا أكثرهم فخرا حيث إننى - على ما يبدو - تمكنت من القيام بتلك المهمة دون أن أنزل إلى الشارع، ودون أن تكون لى أية صلة بالمتظاهرين، ودون حتى أن أشاهد تلك المظاهرات.

ومع ذلك فحين استعلم المهندس سيد مرعى من وزير الداخلية النبوى إسماعيل عن وضعى وعن أسباب اعتقالى قال الوزير لسيد مرعى وهو رئيس مجلس الشعب وصهر رئيس

الجمهورية إن (التهمة لابساها مائة بالمائة)، وقال إن أجهزة الأمن لديها صورة لى فى المظاهرات محمولا على الأكتاف وأقود الهتافات !!

كان هذا هو ما نقله المهندس سيد مرعى لأسرتى مؤكدا لهم أنه يتابع حالتى عن قرب لكن ذلك قد يستغرق بعض الوقت بسبب حالة الفوضى القائمة وخطورة الوضع السياسى آنذاك، وأنه سيتم الإفراج عنى بمجرد أن تهدأ الأوضاع.

ويبدو أن خطورة الوضع السياسى الذى قيل إننى فجرتة مع زملائى الصحفيين الثلاثة قد استمرت عدة أسابيع حيث لم يتم الإفراج عنى إلا بعد حوالى شهرين حين نظر القضاء الأمر فأصدرت المحكمة حكمها القاضى بـ (الإفراج الفورى وبدون ضمان)، وذلك لعدم وجود أية أدلة على الاتهام وطبعا لم يقدم الادعاء إلى المحكمة تلك الصورة المزعومة التى كنت محمولا فيها على أكتاف المتظاهرين.

على أن الفضل كان لسيد مرعى فى أن أسرتى اطمأنت أولا على أنى على قيد الحياة، وأننى أودعت سجن القلعة ثم انتقلت بعد ذلك إلى سجن الاستئناف، وهكذا بدأ أفراد الأسرة يزورونى ويحضرون لى الطعام مرتين كل أسبوع.

وبمجرد الإفراج عنى اتصل بى سيد مرعى ودعانى إلى فنجان شاي بمنزله فى الزمالك، وقد كان حريصا خلال الزيارة على أن يتأكد من أن تجربة السجن لم تكسرنى، وقال لى إنه يعرف أن مسألة الاعتقال والسجن هذه كانت بعيدة تماما عن نشأتى، لذلك خشى أن تكون التجربة قد تركت فى نفسى جرحا غائرا قد تظل ندبته قائمة مدى الحياة - على حد قوله.

وأذكر أنه قال لى فى ذلك المساء ونحن نتحدث بغرفة الجلوس بمنزله: لقد اخترت طريقا كان عليك أن تدفع ضريبته، ولا أقول لك إنك كنت تستحق الاعتقال، ولكن أقول إن الاعتقال بدون وجه حق هو أحد حقائق الحياة السياسية فى بلادنا، وعليك أن تنظر إليه على أنه تدشين لمواقفك السياسية التى اخترتها بكامل إرادتك.. كما أنه دليل على أن الدولة تأخذك مأخذ الجد، وإلا لما التفتت إليك.

وروى لى سيد مرعى أنه تعرض هو الآخر لدسائس وأكاذيب وقت حكم الرئيس عبد الناصر وكان ينتظر الاعتقال بين لحظة وأخرى بعد أن تم إبعاده عن وزارة الزراعة عن طريق بعض مراكز القوة المغرصة، لكنه عاد مرة أخرى بعد أن سقطت كل الدعاوى الزائفة التى قصدت النيل منه.

ثم قال لى : لقد تأكدت أن ما قاله لى وزير الداخلية هو كذب وافتراء، وأنا أعلم وأنت تعلم أن الكثير مما يقال فى هذه الأحوال ليس صحيحا، لكن السياسة هى أن تتعامل مع الواقع كما هو محاولا إصلاحه إذا أردت، لكن عدم تقبل الواقع كما هو وعدم القدرة على التعامل مع سلبياته يعنى أن عليك أن تترك السياسة وتظل فى مجال الأدب فتخلق فى كتبك العالم الذى تريده، وأنت قد اخترت إلى جانب الأدب أن يكون لك موقف سياسى لا بد أنك مقتنع به وعليك إذن أن تلتزم به، إن الموقف يدخلك إلى قلب الحياة السياسية وعليك أن تتعامل مع ذلك بواقعية.

ثم أضاف: لو كان والدك رحمه الله على قيد الحياة لما قبل خيارك هذا، لكنك قد اخترت، وعليك أن تقبل خيارك على علاته.

كان سيد مرعى حنونا ودودا وبدا حريصا كل الحرص على حالتى النفسية وما عسى أن يكون قد أصابها من تلك التجربة التى لم يكن يتصور أننى سأمر بها، لكنه فى الحقيقة كان واقعيا لم يحاول أن يزيّف لى الحقيقة لكى يخفف عنى واعتبر أن واجبه هو أن يبصرنى بالواقع على حقيقته، وقد فعل ذلك على أفضل ما يكون.

ولقد تذكرت كل هذا بعد ذلك بسنوات وأنا أسير فى جنازة هذا الرجل الفاضل الذى كان صاحب رؤية وكان نفوذه واسعاً فى عهد السادات لكنه لم يكن بالنسبة لى إلا أبا حنونا يهرع لمعاونة أبنائه فى محنتهم محاولا القيام بدور الوالد الذى رحل.. صديق العمر كما كان يسميه..



نادين جورديمر: كل إنسان يولد مرتين!

قالت لى أديبة جنوب إفريقيا الحائزة على جائزة نوبل إنها ولدت مرتين، المرة الأولى حين خرجت إلى هذا العالم عام ١٩٢٣م، والمرة الثانية حين وجدت هويتها من خلال تبنيها لقضية الزوج في بلادها ومناهضتها التي لا تكل لسياسة (الأبارتايد) أو التمييز العنصرى التي سادت في جنوب إفريقيا حتى سقوط الحكومة البيضاء هناك.

أديبة جنوب إفريقيا نادين جورديمر الفائزة بجائزة نوبل عام ١٩٩١م تربطها بمصر علاقة خاصة، وقد قالت لى: ستظل لمصر دائماً مكانة خاصة فى نفسى، فقد كانت أول دولة أزورها فى حياتى خارج بلدى، وذلك فى عام ١٩٥٤م حين اخترت مع زوجى الراحل أن أقضى بها شهر العسل، ثم زرتها مرة ثانية وثالثة فى عامى ١٩٥٨م و١٩٩٣م، لأحتفل أنا وزوجى بعيد زواجنا.

كنا فى بداية عام ٢٠٠٥م وكنت أتحدث إليها تليفونياً فى جوهانسبرج لأنقل إليها دعوة وزير الثقافة الفنان فاروق حسنى لحضور معرض القاهرة الدولى للكتاب كضيفة شرف المعرض.



محمد سلماوى يقدم نادين جورديمر لجمهور معرض الكتاب

وكانت قد جمعتنى بنادين جورديمر علاقة صداقة ممتدة من خلال لقاءات سابقة بها، لذلك فحين عرض وزير الثقافة على اللجنة العليا لمعرض القاهرة الدولي للكتاب والتي كنت عضواً بها، استضافة شخصيات أدبية كبيرة، اقترحت أن يكون لكل دورة ضيف شرف أسوة بما هو معمول به فى المعارض العالمية وطرحت اسم نادين جورديمر لما كنت أعرفه من معزة خاصة كانت تكنها لمصر فوافق الوزير على الفور وكلفنى بتولى دعوتها.

ولقد رحبت أدبية جنوب إفريقيا على الفور بالدعوة وإن كانت قد وضعت لها شرطاً واحداً هو أن يحدد لها موعد للقاء أديب نوبل المصرى نجيب محفوظ الذى لم تسمح ظروفه خلال زيارتها السابقة لمصر بلقائه، وقد وعدتها بتحقيق أمنيتها حيث التقت به بالفعل فى منزله لمدة زادت على الساعة.

ولقد بدأت نادين جورديمر الكتابة وهى فى سن مبكرة ونشرت لها أول قصة وهى لم تتعد الـ ١٥، أما آخر رواياتها فقد صدرت فى العام الماضى، وعرفت طوال حياتها بمكافحتها للتفرقة العنصرية التى كانت سائدة فى جنوب إفريقيا فرصت حياتها للكتابة عنها وفضح ممارساتها البغيضة من خلال معالجة إنسانية جميلة.

وأسأل الأديبة الكبيرة: لقد ولدت فى جوهانسبرج لأب روسى مهاجر ونشأت فى مجتمع البيض، فما الذى جعلك تتبنين قضية السود فى بلادك؟

فتقول: صحيح أن والدى كان مهاجراً، لكنى أعتبر نفسى إفريقية، فقد ولدت فى إفريقيا ولم أعرف روسيا التى جاء منها والدى، وأن تكون إفريقيًا يعنى أن تكون أسود، ليس باللون. فذلك انتماء مظهرى، إنما أن تكون أسود بالروح وبالهوية، ولذلك فقد كانت قضية السود من أبناء وطنى هى قضيتى لاتصالها الوثيق بهويتي ذاتها.

ثم تروى لى نادين جورديمر قصة مؤثرة حدثت لها فى طفولتها ففتحت عينيها على مأساة التفرقة العنصرية فى بلادها:

لقد نشأت فى عائلة برجوازية بعيدة تماماً عن مجال الأدب والثقافة، وكان والدى يملك محلاً لبيع المجوهرات وهو يهودى أبيض من أصل روسى، لكنى كنت شغوفة منذ الصغر بالقراءة، فلم تكن المجوهرات تستهوينى كثيراً إنما ما كان مستحوذاً على اهتمامى كله كان الكتب، فقد كنت أذهب إلى المكتبة العامة فى جوهانسبرج لأقرأ لأن بيتنا لم تكن به كتب.

ثم تقول: ثم حدث ما لم أكن أتوقعه، ففي إحدى المرات وأنا ذاهبة إلى المكتبة، سمحوا لي على الباب بالدخول كالمعتاد، لكنني رأيتهم يمنعون سيده بالقوة من الدخول ولم أفهم لذلك سبباً وتصورت أنها ربما سرقت إحدى الكتب من المكتبة فصدر قرار بمنعها من الدخول ثانية، لكنني حين سألت قالوا لي إن المكتبة محظور دخولها على السود.

لم أصدق أذني، لقد كنت واعية بوجود تفرقة عنصرية ضد السود في جنوب إفريقيا حتى في هذه السن المبكرة. لكن تلك كانت المرة الأولى التي أرى فيها الوجه القبيح لتلك الممارسات غير الإنسانية، ولما كانت المكتبة بالنسبة لي في ذلك الوقت هي كل حياتي فقد شعرت بقسوة قرار منع السيدة السوداء من دخولها وبالمهانة التي تعرضت لها أمامنا لا لسبب إلا لأنها أرادت أن تقرأ كتاباً.

ويتواصل شريط ذكريات الطفولة مع أديبة جنوب إفريقيا الكبيرة فتقول: لقد جاءت واقعة المكتبة مضافة إلى تجربة أخرى لا تقل عنها قسوة وقد هزنتني كثيراً، فقد كنت ما زلت طفلة، وكان لي مرببة سوداء كنت متعلقة بها جداً حتى كانت بالنسبة لي بمثابة أم ثانية، فقد تفانت في رعايتي وكانت صاحبة قلب كبير، لكن في أحد الأيام جاء البوليس إلى منزلنا يبحث عن مربيتي لأنه سمع أن هناك سيده سوداء تعيش في هذا المنزل، وأراد أن يتحقق من أنها لا تخالف القانون الخاص بالسود، وأخذ رجال البوليس يفتشون في أغراضها بحثاً عن المشروبات الكحولية التي كان ممنوعاً على الزوج تناولها أو عن أي أغراض أخرى يجرمها القانون.

وأشعر بألم الطفلة الصغيرة نادين وهي تروي لي كيف أنها لم تنس أبداً هذا المشهد القاسي والبوليس يعامل مربيتها طيبة القلب بوحشية لم تعدها.

كانت هذه هي البداية التي دفعت بالأديبة الكبيرة لتبني قضية أبناء وطنها من الزوج والتي أصبحت هي القضية الرئيسية في أعمالها جميعاً فاستحقت بذلك جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٩١م.

ثم تسرح نادين جورديمر قليلاً وألمح في عينيها الرماديتين بريقاً وهي تقول: الناس عادة ما يولدون مرتين، مرة حين ينزلون من بطون أمهاتهم، وأخرى حين يجدون أنفسهم، وأنا أعتبر أن ولادتي الثانية كانت حين اخترقت حاجز اللون الذي فرضه على مجتمع

التفرقة العنصرية القديم فى جنوب إفريقيا.

وأقول لنادين جورديمر: هل بانتهاء سياسة التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا يمكن أن ينصرف القراء عن أعمالك الرائعة التى وقفت فيها ضد تلك السياسة؟
فتقول: أولاً مثل هذه السياسات لا تنتهى بقرار، فقد تلغى رسمياً لكنها تظل قائمة بشكل غير رسمى، وثانياً فإن الأعمال الأدبية الكبرى تقف دائماً ضد الظلم والاضطهاد، وللأسف فإن الظلم والاضطهاد سيظل باقياً ما بقى الإنسان وإن تغيرت أو تنوعت أشكاله.
ولقد كان من الطبيعى أن ما جعل الأدبية البيضاء تتعاطف مع قضية المضطهدين من السود، هو نفسه ما جعلها وهى اليهودية تتعاطف مع قضية المضطهدين من الفلسطينيين، فقد سألتها بشكل مباشر عن موقفها من القضية الفلسطينية فقالت إنها وقفت أكثر من مرة ضد ما يتعرض له أبناء الشعب الفلسطينى على أيدى قوات الاحتلال الإسرائيلية، وقالت إن الظلم والاضطهاد لا يتجزآن، فإذا كنا نرفض الظلم ضد السود فلا يمكن أن نقبله ضد الفلسطينيين.
وأسألها عن الحل الذى تراه لمأساة الشعب الفلسطينى فتقول: ليس هناك من حل إلا بقيام الدولة الفلسطينية، فهذا حق أصيل للشعب الفلسطينى لا يمكن أن يقبل المساومة.



فيلى برانت: فكرت جديا فى الانتحار!

آخر مرة قابلت فيها السياسى الألمانى الكبير فيلى برانت كانت فى القاهرة فى مايو ١٩٩٠م أى قبل سنتين فقط من رحيله ، كان برانت وقتها مازال رئيسا للدولية الاشتراكية ، لكنه بدا كمن تقاعد منذ زمن عن الحياة السياسية التى لم تعد بالنسبة له إلا ذكريات ، وقد أمضيت معه أكثر من الساعة تحدث خلالها بشكل لم أعهده فى المقابلات السابقة ، وأسرى إلى بأشياء لم أكن أعرفها عن حياته الخاصة .



فيلى برانت

وربما كان أكثر ما صدمنى فيما قاله لى فيلى برانت فى تلك المقابلة الأخيرة هو اعترافه لى بأنه ابن غير شرعى ، وأن والده لم يتزوج قط من المرأة التى أنجبته ، وقال لى برانت إنه يعرف والده جيدا ، وذكر لى أن اسمه هو جون موللر ، وأنه كان يعمل محاسبا فى

مدينة هامبورج، لكنه لم يلتق به قط لأنه بالنسبة له لم يكن أكثر من مجرد اسم، فهو لم يسأل عن ابنه ولا حاول رؤيته، ثم قال: ومثل هذا النوع من البشر لا يدفعك للبحث عنه والسعي لمقابلته.

ولقد عرفت من برانت أيضا أن اسم فيلي برانت هذا هو اسم مستعار لجأ إليه في بداية حياته للهروب من تعقب النازي وأن اسمه الحقيقي هو هربرت ارنست كارل فرام، وأن فرام هو اسم والدته (مارتا فرام) فهو لم يحمل اسم والده قط.

وقال لي السياسي الألماني الكبير إنه بدأ حياته في مكتب سمسار لبيع المراكب والسفن، لكنه كان في البداية مهتما بالسياسة وبالشأن العام، لذلك انضم إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي منذ عام ١٩٣٠م ثم هرب من ألمانيا إلى النرويج عام ١٩٣٣م فرارا من الاضطهاد النازي في ألمانيا واتخذ لنفسه اسما مستعارا هو فيلي برانت.

ثم يقول: لم يكن هذا هو الاسم الوحيد الذي استخدمته فحين زرت ألمانيا بعد ذلك بثلاث سنوات دخلتها متنكرا كطالب نرويجي وأسميت نفسي جونار جاسلاند، لكن قوات النازي الغازية اعتقلتنى بعد ذلك في النرويج دون أن تتعرف إلى اسمي الحقيقي، ثم هربت بعد ذلك إلى السويد، وفي عام ١٩٤٠م حصلت على الجنسية النرويجية من سفارة النرويج في استوكهولم، ولم أغانر السويد بعد ذلك إلا بعد انتهاء الحرب وهزيمة النازي عام ١٩٤٥م، وعندئذ عدت إلى ألمانيا حيث تمكنت خلال سنتين من استعادة جنسيتي الألمانية واتخذت لنفسى اسم فيلي برانت لأول مرة كاسم رسمى.

وقد تقلد برانت في ألمانيا مناصب كثيرة واحتل مواقع متعددة كان أولها موقع عمدة برلين فى فترة عصيبة وهى فترة بناء حائط برلين الشهير الذى سقط بعد ذلك فى عام ١٩٨٩م، أما آخرها فكان بالطبع وصوله إلى المستشارية، حيث كان أحد أهم مستشارى ألمانيا الغربية فى فترة ما بعد الحرب، ولم يكن وصوله إلى هذا الموقع المرموق بالأمر السهل، فقد رشح نفسه مرتين لكنه خسر فى المرة الأولى لصالح كونراد إديناور، وفى المرة الثانية لصالح لودفيج إرهارد، لكن عام ١٩٦٦م شهد سقوط حكومة إرهارد فأقام برانت تحالفا بين الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذى كان يرأسه وحزب كونراد إديناور اليميني، وهو التحالف الذى حالفه الحظ فى النهاية فى الانتخابات، فكان لبرانت منصب نائب المستشار ووزير الخارجية، ثم نجح أخيرا فى أن يصبح مستشارا لأول مرة عام ١٩٦٩م، وربما كانت أهم إنجازات فيلي برانت كمستشار لألمانيا الغربية تتمثل فى سياسة التقارب

مع الشرق والتي عرفت باسم (أوست بولتيك)، أى السياسة الشرقية والتي نجح من خلالها فى تحسين علاقات بلاده مع الاتحاد السوفيتى وبولندا وألمانيا الشرقية، وقد كان لتلك السياسة الخلافية أنصار كثيرون لكنها كانت لها أيضا من انتقدها بضراوة، والذين اتهموا برانت صراحة بالخيانة العظمى، لكنه فاز بعد ذلك بجائزة نوبل عام ١٩٧١م اعتمادا على تلك السياسة التي يرى المحللون الآن أنها كانت تمثل بداية الوحدة التي قامت بعد ذلك بين شطرى ألمانيا إثر سقوط الحائط الذى كان يفصل بينهما.

وقد اكتسبت سياسات برانت الجديدة شعبية كبيرة خاصة بين جيل الشباب الراض للمجتمع القديم، وكذلك بين المثقفين المستنيرين والذى كان فى طبيعتهم كاتب ألمانيا الكبير الحائز على جائزة نوبل فيما بعد جونتير جراس.

ولقد ارتبط اسم جونتير جراس بفيلى برانت ولم يكن سرا أن الأديب الألمانى الكبير كان يكتب لبرانت خطبه الرسمية فى تلك الفترة، ويصف لى برانت هذه العلاقة فيقول إنها كانت علاقة تقدير متبادل، ثم يقول: لقد كنت معجبا بكتابات جونتير جراس الأدبية حتى قبل أن ألقاه، فى الوقت الذى كان هو معجبا بالسياسة الجديدة التي كنت أنتهجها، وأنا دائم العودة لقراءة كتب جراس حتى الآن.

كنا فى جناح الفندق الكبير المطل على النيل والذى كان ينزل به برانت، وكنا قد أمضينا ما يقرب من الساعة فى الحديث فى أمور كثيرة شخصية وعامة وسمحت لنفسى أن أقول له مازحا وماكرا أيضا: تقول إنك تحب قراءة ما يكتبه جونتير جراس، والبعض يقول إنك حين كنت مستشارا لألمانيا كنت تستمتع بقراءة كلماته على الناس.

فضحك فيلى برانت وقد فهم مقصدى، ثم أجاب بذكاء شديد: لكنى أفضل كتابات جراس التي لا يملئها عليه أحدا! قاصدا أنه إذا كان جراس يكتب له خطبه فإنه هو الذى كان يملئها عليه.

لكن النجاح لا يدوم، وقد كانت سنة ١٩٧٣م هي التي شهدت النهاية، حيث ثبت أن أحد الأعوان المقربين لبرانت وهو جونتير جيوم يعمل جاسوسا لحساب ألمانيا الشرقية، وفى أبريل من ذلك العام تم إلقاء القبض على جيوم، وتعرض برانت لانتقادات كثيرة وفقدت سياسته الخاصة بالتقارب مع الشرق بريقها وبدأ الجانب المعادى لبرانت حملة ضارية ضده وصلت إلى حد التعرض لحياته الخاصة ونشر تفاصيل علاقات أقامها مع بعض بنات الهوى المحترفات، ثم جاءت أزمة البترول الشهيرة فى ذلك العام فأصابت الاقتصاد الألمانى بضربة قوية.

وقال لي برانت إن تلك كانت أسوأ فترة في حياته واعترف لي بأنه فكر جدياً في ذلك الوقت في الانتحار، وأنه كتب الخطاب الذي كان سيتركه بعد انتحاره، لكنه في اللحظة الأخيرة قرر أن يتحمل مسئولية فضيحة جيوم ويقدم استقالته وهو ما فعله في مايو ١٩٧٤م فأنتهى بذلك مرحلة من أهم مراحل تاريخ ألمانيا في فترة ما بعد الحرب.

وأسأل برانت عن سبب عدوله عن الانتحار، فيصمت قليلاً ثم يقول: هي أسباب كثيرة أولها أنني خشيت أن يبدو ذلك هروباً من المواجهة، لكنني أعترف لك أن العامل الحاسم في تراجعى هو أنني لم أشأ أن ترتبط نهايتى بنهاية هتلر الذى هرب هو الآخر من هزيمته بالانتحار.

ولقد انتخب برانت بعد ذلك رئيساً للدولية الاشتراكية، لكنه كان يشعر بلا شك أن هذا موقع شرفي بعد أن فقد مصداقيته السياسية في بلاده لأسباب لم يكن مسئولاً عنها، وحين قابلته قبل سنتين من رحيله تحدث معي بحماس عن الدولية الاشتراكية ووصفها بأنها (حزب دولى من أجل السلام) لكنى كنت أشعر أن حياته السياسية كانت وراء ظهره وأن دوره الحقيقي كان قد انتهى منذ عام ١٩٧٤م، ولقد شاهدت في عام ٢٠٠٣م فيلمًا ألمانيًا شهيراً كان يحمل عنوان (فى ظلال السلطة) تركز موضوعه حول فضيحة جيوم وعجبت أن الممثل الذى قام بدور جيوم هو ماتياس برانت ابن المستشار السابق الذى قضى جيوم على حياته السياسية.

وأذكر أن بعض الصحف الألمانية تعجبت فى ذلك الوقت من أن يقوم ابن برانت بهذا الدور، حيث كان ماتياس نفسه هو الذى كشف لوالده أثناء قيام عائلتى برانت و جيوم برحلة إلى النرويج أن جونتر جيوم وزوجته يمضيان الليل كله فى كتابه التقارير على الآلة الكاتبة بغرفتهما !!



عمر الشريف: لماذا لم يعد الرجال يخشونني؟!

كنا نحتفل بعيد ميلاد عمر الشريف الـ ٧٤، وقلت له: إن نصف رجال العالم يحسدونك على مظهرك الجذاب حتى بعد أن تخطيت السبعين فقال لكنى أدركت أخيراً أنني قد شخت، وقد اكتشفت أن الأزواج لم يعودوا يتململون حين تتحدث إلى زوجاتهم، والرجال لم يعودوا يغارون حين تبدى النساء إعجابها بي، إن اطمئنان الرجال الزائد هذا يؤكد لى إننى لم أعد خطراً على أحد، وهذا شعور لم أعرفه فى شبابى.

كان عمر الشريف فى زيارة للقاهرة فى شتاء عام ٢٠٠٥م وقد دعوته على العشاء فى لقاء حميم مع مجموعة من الأصدقاء المشتركين، وبعد العشاء أخبرنى عمر أن عيد ميلاده يحل فى نفس ذلك الأسبوع، فقلت له: لماذا لم تخبرنى بذلك مسبقاً حتى نتمكن من الاحتفال بك كما يجب، قال: أرجوك بلاش فضائح، أنا أتحدث إليك بشكل شخصى، وبالنسبة لى فإن هذا العشاء بين الأصدقاء فى منزلك هو أفضل احتفال بعيد ميلادى.

لكن الفضيحة التى كان يخشاها عمر الشريف حدثت وسمع البعض حديثه لى وصار عيد ميلاد عمر الشريف هو حديث السهرة وبالطبع وجه إليه البعض السؤال المتوقع وهو: كم عمرك؟

وقد كان عمر صريحا وقال بلا تردد: أنا باين على خلاص عجزت! وبدا حديثه غريبا وغير متوقع، فكلمة (شيخوخة) واسم (عمر الشريف) لم يعتد أحد أن يقترنا ببعضهما البعض، لكن عمر كان هو الذى ربط بينهما، ووسط دهشتنا قال إنه لم يقلق فى حياته على شبابه مثلما بدأ يقلق فى السنوات الأخيرة حين وجد الرجال يظهرون له الكثير من الود غير المعتاد ولم يعودوا ينظرون إليه كغريم ينبغى الحذر منه.

وقال عمر: فى البداية تصورت ذلك نوعا من اللطف الشخصى من جانب بعض الرجال، لكنى مع الوقت اكتشفت أنها ليست حالات فردية بل هى اتجاه عام أصبحت أصادفه طوال الوقت، هنا أدركت أنني لا بد وصلت إلى سن الشيخوخة!

وتذكرت عمر الشريف فى مدرستنا القديمة (فيكتوريا كولدج) حيث كان نجما منذ الصغر، كان فى سنواته النهائية بالمدرسة وكنت مازلت فى بداية التحاقى بالمرحلة

الابتدائية، وأذكر جيدا أنه كان يمثل دور هاملت فى رائعة شكسبير المعروفة والتي كنا ندرسها فى المدرسة فى نسختها المبسطة، وهكذا ذهب الفصل بأكمله لحضور حفل نهاية العام الدراسى لمشاهدة عرض مسرحية (هاملت) المقررة علينا.

ثم شاءت الظروف بعد ذلك أن سكن عمر الشريف فى عمارة (ليبون) بالزمالك فكنت ألقاه كثيرا فى مصعد العمارة، حيث كان يسكن الدور الـ ١٢ وكان منزل أسرتى فى الدور الـ ٩، كان عمر قد أصبح فى ذلك الوقت نجما سينمائيا كبيرا وتزوج من سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة وجاء يسكن معها فى شقتها فأصبحنا جيرانا.

كانت جيرتى لعمر الشريف هى السبب فى تعرفى إليه، وفى المدرسة لم تتبادل أى حديث ولم يكن بالنسبة لى إلا ذلك الطالب الوسيم الذى شاهدته على مسرح المدرسة فى دور هاملت، أما فى العمارة فقد كنا نلتقى كثيرا وإن كانت أحاديثنا لا تدور إلا حول الأمور العابرة، واذكر أنه منحنى أكثر من مرة تذاكر لحضور العرض الأول لبعض الأفلام التى كان يقوم ببطولتها.

ومن الغريب أن علاقتى بعمر الشريف لم تتوطد إلا بعد أن غادر مصر فى الستينيات إلى النجومية العالمية، فقد التقينا أكثر من مرة فى الخارج وكان عمر سعيدا فى كل مرة أن يلتقى بجار قديم، فكنا نمضى وقتا طويلا فى الحديث مما قرب بيننا بشكل لم يكن قائما لا فى المدرسة ولا فى مصعد عمارتنا القديمة.

وأذكر أننى فى بداية السبعينيات كنت فى زيارة لفرنسا لمقابلة جاك شيراك الذى كان قد عين لأول مرة رئيسا للوزراء تحت رئاسة الرئيس الراحل جورج بومبيدو، وكانت هناك انتخابات بلدية فى ذلك الوقت انشغل بها شيراك فى ترتيبات خاصة بالحزب الديجولى الذى كان يترأس فيه جناح الشباب فتأجل موعدنا لأيام وأبلغنى قصر الماتينيون حيث مقر رئاسة الوزراء أن عمدة مدينة دوفيل الساحلية يدعوننى لقضاء بضعة أيام فى المدينة إلى حين حلول موعدى مع رئيس الوزراء.

ورحبت أنا وزوجتى بالدعوة ووصلنا إلى مدينة دوفيل ذات التاريخ العريق والتي كان يقضى فيها الملك السابق فاروق فترة الصيف، لنجد أن المدينة كانت تشهد فى ذات المساء افتتاح مسابقة (البريدج) السنوية التى تجرى تحت رعاية زوجة حاكم إمارة لشتنشتاين وأننى أنا وزوجتى مدعوان لحضور حفل العشاء المقام بهذه المناسبة على مائدة عمدة المدينة، وفى وجود النجم العالمى عمر الشريف.

ولم تسعد زوجتى كثيرا بهذا الخبر وقالت لى إنها لن تتمكن من الذهاب لأنها لم تكن قد تسوقت بعد حيث كنا قد وصلنا لتونا إلى فرنسا ، ومن ثم فليس معها الملابس المناسبة لمثل هذه المناسبة.

ولم أكن أعرف أن عمر الشريف هو جارى للمرة الثانية فى الفندق الذى كنا ننزل به ، وفى بهو الفندق قابلته مصادفة ففرح حين علم أننا سنحضر الحفل، لكنى قلت له إن زوجتى لن تتمكن من الحضور لأنه ليس هناك وقت لكى تشتري فستان سهرة يليق بهذا الحفل الذى فوجئنا به.

فضحك عمر ملء شذقيه وقال : فستان سهرة إيه؟ دى موضة قديمة !
ثم شرح لى أن الوحيديين الذين يلبسون الآن ملابس السهرة فى تلك المناسبات هم الشخصيات غير المعروفة التى لا تريد أن ينتقدها أحد أو يمنعها من الدخول، أما المشاهير فهم يلبسون أى شىء وتلك من بين المظاهر الجديدة للنجومية، وتسمى : Negligé Snob
قلت له : كيف ذلك؟! ألم ترتد أنت، (بابيون) مثلاً؟ قال لى : ولا حتى (كرافته)!
قلت : ربما لأنك عمر الشريف، فقال وأنت زائر رسمى مهم، بل إنك ضيف رئيس الوزراء شخصيا وهو ما دعا العمدة لدعوتك.

ثم قال : أين نازلى وأنا سأقنعها بما أقول.

وطبعا تمكن عمر الشريف من إقناع زوجتى بالموضوع وتمكنت هى من استخدام قدرتها كفنانة تشكيلية فى التفنن فى توليف رداء نال إعجاب الكثير ممن قابلناهم فى خلال السهرة، وقلت لعمر: إن المرء يجب أن يحترس منك فأنت تستطيع أن تقنع أى امرأة بأى شىء.

ولقد ذكرت عمر الشريف ونحن نحتفل بعيد ميلاده فى عام ٢٠٠٥م بهذه الواقعة، فقال لى : كان ذلك منذ ثلاثين سنة، أما الآن فلم أعد أستطيع إقناع أى امرأة بأى شىء، لا بما عليها أن ترتديه ولا بما عليها أن تخلعه!!



ولى عهد الصرب: معاملة أوروبا لنا غير لائقة!

كانت تلك هي المرة الأولى التي يزور فيها الأمير الكسندر الثانى ولى عهد الصرب البيت الذى عاش فيه والده الملك بيتر الثانى فى مصر بعد أن ترك بلاده على أثر الاحتلال النازى عام ١٩٤١م، وبدأت اللحظة مفعمة بالمشاعر الإنسانية والوطنية المؤثرة فى تلك السهرة التى قضيتها مع ولى العهد وزوجته الأميرة كاترينا فى ذلك المنزل الذى أصبح بعد ذلك مقرا لإقامة السفير اليوجوسلافى بالقاهرة، ثم سفير الصرب بعد إلغاء يوجوسلافيا.



الأمير الكسندر الثانى ولى عهد الصرب

فى إبريل ١٩٤١م دخلت قوات هتلر يوجوسلافيا واحتلتها مما دعا الملك الشاب بيتر الثانى لمغادرة البلاد مع أسرته والحكومة ذاهبا إلى اليونان ومنها إلى القدس، ثم استقر فى مصر لبعض الوقت إلى أن تمكن من الاتفاق مع الحكومة البريطانية على تشكيل حكومة المنفى فى لندن. وعند وصول الملك الشاب الكسندر إلى القاهرة قام بشراء فيلا بيضاء جميلة بشارع المنصور محمد فى القطاع الشمالى من جزيرة الزمالك الهادئة. كانت مملوكة لأسرة تكلا المصرية لتصبح مقرا لإقامته فى مصر والتي لم يكن يعرف كم ستستغرق لكنه خلال بضعة أشهر توصل إلى اتفاق مع حكومة ونستون تشرشل والحكومة اليوجوسلافية على أن تكون لندن هى مقر إقامته وبعد أربع سنوات رزق الملك بيتر فى يوليو ١٩٤٥م بمولوده

الأول والوحيد الأمير الكسندر ولى العهد وذلك أثناء إقامته بفندق كلاريدج الشهير فى قلب العاصمة البريطانية، وعلى الفور أصدرت حكومة تشرشل قرارا بأن يعتبر الجناح ٢١٢ بفندق كلاريدج حيث ولد ولى العهد أرضا يوجوسلافية حتى يكون ولى العهد قد ولد على أرض الوطن وليس فى المنفى مما قد يسقط عنه حق العرش.

وأسأل ولى عهد الصرب عن لقبه الملكى فيشرح لى أنه وفق الدستور فى بلاده فإن ولى العهد يصبح ملكا بمجرد وفاة الملك وقال إن والده الراحل الملك بيتر الثانى لم يتنازل عن العرش على الإطلاق، لكن الأمير يفضل لقب ولى العهد فى الوقت الحالى.

على أن الأمير الكسندر ليس من هؤلاء الملوك المخلوعين الذين يجلسون فى انتظار تلبية مطالبتهم بالعرش، وإنما هو عنصر فعال ومؤثر فى سياسة بلاده وقد كان له دور كبير فى ثورة ٥ أكتوبر ٢٠٠٠م فى الصرب والتى أسقطت الحكم السابق وأصبح الشعب ينظر إليه باعتباره قطبا موحدًا للبلاد فى مرحلة ما بعد الحكم الدكتاتورى لسلوبودان ميلوسفتش فقد استطاع ولى العهد توحيد مختلف مجموعات المعارضة لأول مرة حين دعاهم جميعا باسم التاج لاجتماع فى بودابست لإعادة الحياة الديموقراطية إلى الصرب وكان ذلك فى عام ١٩٩٩م ولم تكد تضى السنة حتى قامت الثورة وخلعت الحكم الشيوعى السابق، وقد أعقب ذلك الاجتماع الأول باجتماعات تالية عقدها الأمير الكسندر مع فصائل المعارضة فى البوسنة فى يناير ٢٠٠٠م ثم فى إبريل فى أثينا فى محاولة لإرساء قواعد الديموقراطية فى الصرب مرة أخرى.

ولقد تم السماح لولى العهد بالعودة إلى البلاد لأول مرة منذ دخول قوات هتلر وخروج والده وتم منحه الحق فى الإقامة فى القصر الملكى فى بلجراد، مما يعد إقرارا بحقه الشرعى فى اللقب الذى يحمله والذى أصبح هو لقبه الرسمى فى البلاد.

قلت للأمير: لقد سمعنا أصواتا كثيرة فى بلادكم تطالب بمنحك لقب الملك بحيث تصبح رمزا لوحدة البلاد كما حدث مثلا فى أسبانيا بعد فرانكو، فمتى يحدث ذلك، خاصة وأنكم تمارسون مسئوليات هذا المنصب بالفعل فى الحياة السياسية للصرب، والمجموعات

السياسية أصبحت تحصل على شعبيتها من مباركة ولى العهد لها.

قال: الحقيقة أننى أفضل أن أترى قليلا فى هذا الأمر، فالبلاد ما زال أمامها شوط طويل فى التغلب على المشاكل السياسية، لقد تقدمنا اقتصاديا بشكل ملحوظ بعد سقوط النظام الشيوعى السابق، لكننا فى المجال السياسى ما زالت أمامنا مشكلة كوسوفو مثلا التى يجب أن تحل ولا يمكن أن نتركها هكذا ما بين المطالبين بانفصالها والذين يرونها جزءا لا يتجزأ من التراب الوطنى.

قلت: إن من سيتخذ قرار انفصال كوسوفو استجابة لمطلبهم الدائم لن يكون هو السياسى المفضل لدى الناس فى هذه المرحلة، فهل تنتظرون أن يتم حل هذه المشكلة قبل أن تقبلوا اعتلاء العرش؟

قال فى صدق: أنا لا أنتظر شيئا فأنا أعمل جاهدا مع الآخرين فى محاولة للتوصل إلى تسوية لهذه المشكلة المزمنة وأشعر أن هذا واجبى الذى ينتظره منى الناس.

قلت: وماذا عن الاتحاد الأوروبى الذى يرفض عضويتكم حتى الآن بينما قبل دولا أخرى كانت أكثر خضوعا للاتحاد السوفيتى وأكثر التزاما بنظامه السياسى والاقتصادى من يوجوسلافيا؟

قال: هو وضع غريب بلا شك فالحصار الأوروبى المفروض على الصرب لا مبرر له، وأبناء وطنى الذين كانوا يتمتعون بحرية التنقل داخل أوروبا فى ظل النظام الشمولى القديم أصبحوا الآن ينتظرون فى صفوف طويلة خارج السفارات الأوربية للحصول على تأشيرة الدخول، وهذا وضع غير لائق. وكان ولى عهد الصرب فى زيارة غير رسمية لمصر مع زوجته اليونانية الأميرة كاترينا وهى زوجته الثانية التى قامت بجمع تبرعات مالية كبيرة لصالح دير سانت كاترين بجنوب سيناء الذى كانت قد زارته من قبل ووجدت أنه بحاجة لدعم يسمح له بالحفاظ على مخطوطاته النادرة فجمعت عددا كبيرا من كبار رجال الأعمال الذين قاموا برحلة إلى الدير على متن يخت توراما الفاخر وهو مملوك للمليونير اليونانى لاتسيس، وقد دفع كل من ركاب اليخت مبلغا للقيام بهذا الرحلة بلغ مجموعه حوالى ١٠٠ ألف يورو

أى ما يقرب من ٨٠٠ ألف جنيه ذهبت كلها إلى الدير حيث وفر لاتسييس اليخت بكامل خدماته بالمجان تبرعا منه ، وتصف لى الأميرة كاترينا شعور زوجها عندما دخل القصر الملكى فى بلجراد وأخذ يقول : هنا لابد أن والدى فعل هذا أو ذاك ، وحين نام لأول مرة فى السرير الذى كان لوالده كان منفعلا للغاية وأسألها : لقد رأيت بنفسى قبر دافوريانكا باونوفيتش ، عشيقته الرئيس الراحل تيتو فى أرض القصر الملكى الأبيض فى بلجراد فهل ما زال القبر هناك بعد عودتكم للقصر؟

قالت : لقد كانت نهاية باونوفيتش مأساوية ونحن لا نريد أن ننش الماضى ولا محاسبة الموتى ، لذلك فإن أقاربها وحدهم هم الذين يملكون الحق فى نقل رفاتها .
وجاء السفير وحرمه ليصحبا لى العهد وزوجته الأميرة فى جولة فى مختلف أنحاء المنزل الذى عاش به والده الملك بيتر حين احتضنته مصر لبعض الوقت قبل أن يستقر فى لندن حيث أثمرت جهوده وجهود ابنه من بعده فى عودة نظام الديموقراطية الدستورية مرة أخرى إلى أراضى الصرب بعد ما يزيد على نصف قرن من الزمان .



ماكس جاكوبسون: العرب لا يريدوننى!

كانت المنافسة على أشدها بين المرشحين لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة وكان أبرزهم هم كورت فالدهايم مندوب النمسا الدائم وماكس جاكوبسون مندوب فنلندا وصدر الدين خان وغيرهم، وكنت أكثر ميلا لجاكوبسون الذى كان يتمتع بشخصية قيادية قوية فى وقت كانت المنظمة الدولية تتنازعها الصراعات بين القوى الكبرى فى مجلس الأمن مما كان يشل حركتها ويحول دون توصلها إلى اتفاق فى القضايا الدولية.

كنت فى الأمم المتحدة بنيويورك أعطى السباق الذى كان يجرى على أشده لانتخاب سكرتير عام جديد للمنظمة الدولية، وفى هذا الإطار فقد أقمت علاقات بجميع المرشحين لهذا المنصب وبحثت فرص فوز كل منهم، كنا فى خريف عام ١٩٧١م وكان السكرتير العام فى ذلك الوقت هو يو ثانت من بورما والذى أعلن أنه لن يجدد فترة رئاسته بناء على نصيحة أطبائه، وهكذا بدأ الصراع المحموم بين مختلف الدول لشغل هذا المنصب الذى يعتبر أرفع منصب دبلوماسى فى العالم.

ولقد التقيت جميع المرشحين وتجاوزت معهم فى محاولة للتعرف إلى رؤية كل منهم للمنظمة الدولية التى كانت تمر بفترة حرجة فى تاريخها اتسمت بالصراعات المتعددة بين القوى الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن، فالصين على سبيل المثال كانت قد حصلت لأول مرة على عضويتها الدائمة فى المجلس بعد أن تم إخراج الصين الوطنية. كما كانت تسمى، وكانت تسعى فى كل مواقفها إلى معارضة الاتحاد السوفيتى فإذا اعترض الاتحاد السوفيتى على قرار وافقت عليه الصين وإذا وافق على آخر استخدمت الصين حق الاعتراض (الفيتو) لوقفه، ومن ناحية أخرى كانت الحرب الباردة مازالت قائمة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وقد ساهم ذلك كله فى شل مجلس الأمن حتى أنه لم يستطع اتخاذ قرار لوقف الحرب الدائرة بين الهند وباكستان فى ذلك الوقت، ولقد شاهدت بنفسى ذو الفقار على بوتو رئيس الوزراء الباكستانى وهو يقذف بأوراقه فى وجه أعضاء المجلس ويخرج من الجلسة غاضبا والدموع فى عينيه قائلا إن الأرواح تزهب والبشر يموتون فى كل لحظة ومجلس الأمن عاجز عن إصدار قرار لوقف القتال.

كل ذلك جعلنى أقتنع بأن ماكس جاكوبسون هو القادر على قيادة المنظمة الدولية بشكل حازم بحيث يفرض على أعضائها اتخاذ القرارات الحيوية التى كانت مطلوبة والبعد عن الصراعات السياسية التى تفتشت فى الأيام الأخيرة لإدارة يو ثانت المريض.

ولقد انعكس الصراع بين الدول الكبرى على الصراع بين مختلف المرشحين لمنصب السكرتير العام، لكن ما أن اقتربت دورة الأمم المتحدة من نهايتها حتى انحصرت المنافسة بين اثنين هما كورت فالدهايم وماكس جاكوبسون وكانت علاقتى بفالدهايم وثيقة حيث كان إنسانا فاضلا على قدر كبير من الرقى، وكنا كثيرا ما نتقابل فى صالون المندوبين delegates lounge أو نتناول الغداء معا فى مطعم الأمم المتحدة الشهير، لكن قناعتى كانت بالمندوب الفنلندى ماكس جاكوبسون الذى وجدت فيه الكثير من خصائص داج هامرشولد السكرتير العام الأسبق الذى خطى بالمنظمة الدولية خطوات كبيرة إلى الأمام بينما كان فالدهايم مثالا لدبلوماسية القرن الـ ١٩ الهادئة التى عادة ما يطلق عليها تعبير Tip-toe diplomacy وبينما كانت مقابلاتى لفالدهايم تجرى فى إطار اجتماعى حيث كان يدعونى على الغداء أو تناول الشاى فقد جرت مقابلاتى كلها مع جاكوبسون فى مكتبه بمقر الوفد الفنلندى، وفى إحدى هذه المرات فاجأنى جاكوبسون بالقول بأنه اكتشف أنه لن ينجح لأن الاتحاد السوفيتى سيستخدم (الفيتو) إذا طرح اسمه، وقال لى إنه علم بذلك بشكل مؤكد وأن حكومة فنلندا نصحت بعدم ترشيحه حتى لا يتم الاعتراض عليه، وسألته عن سبب اعتراض الاتحاد السوفيتى عليه فصمت قليلا ثم قال: أنتم السبب، فقد أخبرنا الاتحاد السوفيتى أنه سيعترض على ترشيحى نزولا على رغبة حلفائه العرب الذين يرفضوننى لأن والدتى يهودية، وأبديت لجاكوبسون دهشتى مما قال وقلت له إننى لم أسمع بتلك القصة من قبل لكنى سأبحث فيها برغم أننى أكاد أكون متأكدا من عدم صحتها.

وكان مصدرى الأول فى التحقق مما رواه لى المرشح الفنلندى هو السيد/ محمود رياض وزير خارجية مصر آنذاك والذى كان موجودا فى نيويورك لحضور مناقشة قضية الشرق الأوسط، ومثلما أبديت دهشتى لجاكوبسون فقد أبدى محمود رياض دهشته لى، بل طلب منى أن أؤكد لجاكوبسون أن العرب ليس لديهم اعتراض عليه وأنهم لم يطلبوا من الاتحاد السوفيتى استخدام الفيتو ضده.

وواصلت بحثى الصحفى فى هذا الموضوع إلى أن توصلت إلى أن سبب عداء الاتحاد السوفيتى لجاكوبسون لا علاقة له بالعرب ، فقد كان جاكوبسون يعمل صحفيا وقت الحرب بين الاتحاد السوفيتى وفنلندا وقد قام بعد انتهاء الحرب بإصدار كتاب عنها وجدت فيه موسكو ما بدا لها أنه عداء للاتحاد السوفيتى لذا فلم تكن على استعداد لأن توافق على أن يتولى إدارة الأمم المتحدة فى وقت كانت الولايات المتحدة والصين يناصبانها العداة .

وذهبت على الفور إلى جاكوبسون وأطلعته على نتيجة بحثى الذى استغرق عدة أيام ناقلا له رسالة محمود رياض بأن العرب لا اعتراض لهم عليه ، وقلت له إن الاتحاد السوفيتى يستخدم قصة والدته اليهودية كتكئة كى يبرر رفضه له والذى أوضحت له سببه .

وشكرنى جاكوبسون كثيرا على ذلك قائلا إن الصورة الآن اتضحت أمامه وإن كان قد أخبرنى أنه سيتحقق من ذلك بنفسه أيضا .

ولم أعرف ما تم بعد ذلك وهل تأكد لجاكوبسون ما رويته له أو لا ، كل ما أعرفه أن مجلس الأمن اختار فالدهايم كما كان متوقعا والذى أعطانى أول حديث صحفى أجراه بعد تعيينه ، وأن كبير الدبلوماسيين الفنلنديين ماكس جاكوبسون ألف بعد تقاعده كتابا عن سنواته فى الأمم المتحدة أسماه (الدور الـ ٣٨) The 38th. Floor نسبة إلى الدور الذى يقع فيه مكتب السكرتير العام بمبنى الأمم المتحدة فى نيويورك وفى هذا الكتاب روى جاكوبسون تلك الواقعة وقال إنه سيظل مدينا للصحفى المصرى الشاب محمد سلماوى الذى أطلعته على تلك الحقيقة التى كانت خافية عليه .



إريك إيمانويل شميت: وجدت الله في صحراء الجزائر!

علاقة غريبة تلك التي جمعت بين أحد أهم الكتاب الفرنسيين في الوقت الحالى وهو إريك إيمانويل شميت، والإسلام، فقد كتب سلسلة روايات يدور موضوع كل منها حول أحد الأديان السماوية، لكن كتابه (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) هو الذى أثار الاهتمام حيث ترجم إلى معظم لغات العالم ثم تحول إلى فيلم سينمائى بطولة عمر الشريف الذى حصل فيه على جائزة (سيزان) لأفضل ممثل.



يعتبر إريك إيمانويل شميت أحد أهم الكتاب الروائيين فى فرنسا الآن، وقد ذاع صيته برواية (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) التى تحولت إلى فيلم سينمائى قام ببطولته عمر الشريف، وهى واحدة من ثلاث روايات للكاتب صدرت بعنوان (سلسلة غير المرئى) كل منها يعالج أحد الأديان السماوية، وقد تميزت رواية (مسيو إبراهيم) بأنها قدمت صورة سمحة للإسلام تختلف كثيرا عن تلك الصورة المشوهة التى تطالعنا فى الغرب فى الوقت الحالى.

من أجل ذلك قرر اتحاد كتاب مصر دعوة شميت

إريك إيمانويل شميت

كضيف شرف المؤتمر الذى أقامه الاتحاد عام ٢٠٠٥م

احتفالا بالذكرى الـ ٣٠ لإنشائه، وبهذه المناسبة قمت بترجمة رواية شميت الجميلة (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) لأول مرة إلى اللغة العربية بعد أن كانت قد ترجمت إلى أكثر من ٢٠ لغة إلى اللغات الحية وباعت ملايين النسخ فقرأها سكان الأرض جميعا فيما عدا قراء العربية.

وقد تصور بعض القراء فى مصر حين قرأوا رواية شميت أنه اعتنق الإسلام بسبب ما وجدوه من تعاطف ملحوظ مع ديننا الحنيف، وحين سألت شميت عن علاقته بالإسلام

قال لى وعلى وجهه ابتسامة هادئة (إنى أكاد أكون مسلما، فقد قرأت كثيرا فى الإسلام وخاصة فى الاتجاه الصوفى، لكنى لا أستطيع أن أدعى أننى فقيه فيه، فقد كانت معظم قراءتى أدبية وليست لاهوتية، وقد تأثرت كثيرا على سبيل المثال بجلال الدين الرومى الذى يقدم فى شعره صورة للإسلام غاية فى السماحة والسمو الإنسانى.

وأضاف شميت الذى بدت عليه كل معالم الرقة والإنسانية والتواضع برغم أنه الحاصل على أعلى الدرجات العلمية فى الفلسفة وعلى عدد كبير من الجوائز على أعماله الأدبية: إن حبى للإسلام مصدره الإطلاع والقراءة ليس أكثر، فقد كان الشعر الصوفى هو مدخلى إلى الإسلام الذى دلفت إلى جناته الغناء بصحبة جلال الدين الرومى وهناك تعرفت إلى جمال الإسلام، فأنا أهتم أساسا بالجمال الداخلى ولا تعيننى كثيرا المظاهر الخارجية لذلك كان من السهل على أن أنفذ وراء المظهر السلبي للإسلام الذى ينتشر الآن فى العالم إلى حقيقته الداخلية، ولقد أفضى بى ذلك إلى قراءة القرآن فوجدته كتابا أدبيا معجزا، ولقد أردت أن أنقل هذه المعرفة التى توصلت إليها إلى القراء فى الغرب، وأن أقول لهم المعرفة بالإسلام لا تستمد من أحداث الإرهاب التى تنشرها الصحف وإنما من التعاليم السامية المدونة فى كتابه العظيم وفى كتابات أتباعه من المفكرين والكتاب والشعراء.

ثم قال: لو أننى كنت مسلما لما صدقنى أحد فى الغرب لأن شهادتى فى هذه الحالة ستكون مجروحة، أما ما أقدمه فى (زهور القرآن) فهى شهادة موضوعية لأنها لا تأتى من مسلم.

قلت: وأين تقف من الأديان؟

قال: لقد نشأت نشأة بعيدة تماما عن الدين، فقد كان والداى ملحدين ولم يحرصا كثيرا على تعليم أبنائهم التعاليم الدينية.

قلت: لكن شخصيتك تتسم بقدر كبير من الروحانية تذكرنا بطبيعة الرهبان، فأنت إنسان هادىء وزاهد تميل إلى الصمت والتأمل.

قال: هذا صحيح، أنا شخص روحانى، أو هكذا أصبحت، فقد تحولت من النقيض إلى النقيض، وبعد أن نشأت ملحدا أصبحت الآن مؤمنا.

على أنى لم أكتب هذه الرواية من أجل دعوة الناس إلى الإسلام ولكن لكى أحارب التعصب الموجود فى العالم الآن.. إن رواية (مسيو إبراهيم وزهور القرآن) كتبت أولا كمسرحية وقد كانت بعض الأيدى تمتد كل يوم لتتزعزع (أفيشات) العرض من محطات المترو أو لطمس عبارة

(زهور القرآن) من الإعلان، لكنى كنت أصر على ضرورة استبدالها بـ(أفيشات) جديدة، أما على الجانب الآخر فكان هناك من يؤمنون برسالة المسرحية والذين كانوا يقبلون على مشاهدتها كل ليلة حتى إنها حققت نجاحا كبيرا وامتد عرضها ثلاث سنوات متتالية، وهو ما دفعنى لكتابتها كرواية قبل أن تتحول إلى فيلم سينمائى.

وسألت إريك إيمانويل شميت: وكيف تحولت من الإلحاد إلى الإيمان؟
قال: كانت تلك تجربة هزتنى هذا وغيرت مجرى حياتى فقد كنت فى زيارة للجزائر، وكنت أقوم برحلة فى الصحراء التى أعشقها، وقد حدث أن ضللت طريقى وسط رمال الصحراء وظللت أمشى فى كل الاتجاهات دون أن أستطيع العودة، وبعد فترة أدركت أننى لن أعود مرة أخرى فاستلقيت على ظهرى فوق الرمال وأخذت أنظر إلى السماء فى انتظار الموت، وهنا حدث الاتصال وشعرت بعلاقة بينى وبين الخالق وأيقنت أننى كنت مؤمنا فى قرارة نفسى دون أن أعرف وأن تلك الحادثة كان الغرض منها هو إظهار هذا الإيمان، لقد وجدت الله فى صحراء الجزائر.

وقد تحدث شميت عن مصر التى كان يزورها لأول مرة فقال إنها هى الأمة التى توصلت إلى تلك الحقيقة التى توصل هو إليها فى صحراء الجزائر، وقال إن مثل هذه الحضارة العظيمة لا يمكن أن تنشأ إلا من خلال عقيدة قوية تكون هى فلسفة الوجود التى تدفع أبناء هذه العقيدة إلى بناء حضارة عظيمة.. إن مصر ليست فقط مهد الحضارة لكنها أيضا مهد الإيمان بمعناه التوحيدي الحديث.



جان كلود بريالى: أمضيت أسبوعا مع جين فوندا فى الفراش

توفى هذا الأسبوع الممثل الفرنسى الكبير جان كلود بريالى الذى ذاعت شهرته فى العالم كله مع أفلام ما عرف بالموجة الجديدة فى الخمسينيات من القرن الماضى ، وبرغم أن الكثير من أفلام بريالى عرضت فى مصر ، وبرغم أنه زار القاهرة رئيسا للجنة تحكيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى عام ٢٠٠٣م ، فإن أيا من وسائل إعلامنا لم يهتم بإذاعة خبر وفاته !

كان جان كلود بريالى (٧٤ عاما) فنانا يفيض إنسانية وتشعر حين تلقاه أنك تعرفه منذ زمن بعيد ، وقد كنت عضوا فى لجنة تحكيم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى فى أكتوبر ٢٠٠٣م حين قابلت بريالى لأول مرة حيث كانت السينما الفرنسية ضيفة الشرف فى ذلك العام ، وكان فنانها الكبير جان كلود بريالى هو رئيس لجنة تحكيم المهرجان. ويعتبر جان كلود بريالى أحد أساطير السينما الفرنسية حيث بزغ نجمه مع (الموجة الجديدة) التى كان أبطالها المخرجين فرانسوا تروفو وجان لوك جوارد وغيرهما ، إلا إنه استطاع أن يتخطى (الموجة الجديدة) حين أقل نجمها واستمر فتى أول يتمتع بشباب دائم فى أفلام تالية لتلك الفترة ويصل عدد الأفلام التى قام جان كلود بريالى ببطولتها إلى ما يزيد على الـ ٤٠ فيلما ، بالإضافة لبعض الأفلام التى قام بإخراجها بنفسه ، وحين قابلت جان كلود بريالى فى أكتوبر ٢٠٠٣م لم تكن قد جمعتنا الظروف من قبل ، لكن ما أن انتهى المهرجان حتى صرنا أصدقاء وكأن علاقتنا تعود لسنوات مضت ، وكان آخر ما قاله لى قبل أن يغادر مصر :

إنى أعرف أنك كثير السفر إلى فرنسا فأرجو أن تقبل دعوتى فى سفرتك القادمة لتنزل ضيفا على فى (مونتيون) على بعد ٤٠ كيلو مترا من باريس .

وكان بريالى يمتلك شقة فى باريس لكنه كان لا يشعر بالراحة إلا فى قصره القديم الذى يعود تاريخه إلى القرن الـ ١٨ ، وقد اشتراه منذ سنوات واعتبره حصنه المنيع ضد ضوضاء باريس وصخبها كما قال لى ، ففى قصر (مونتيون) كان بريالى يستقبل أصدقاءه المقربين ليقيموا فترة قد تطول أو تقصر حسبما يريدون ، ومنهم الآن ديلون وجان بول بلموند وكاترين دينيف ، وقد روى لى أنه حين فقدت الممثلة الشهيرة رومى شنايدر ابنها وقد كانت تربطه بها صداقة وطيدة وكانت آنذاك فى حالة نفسية سيئة أمضت بعض الوقت فى القصر حتى استعادت توازنها وتمكنت بعد ذلك من مواجهة الحياة من جديد .

وقد لا يعرف البعض أن جان كلود بريالى ولد في الجزائر وكان والده برتبة كولونيل في الجيش الفرنسي هناك وكانت علاقة الكولونيل بريالى مع ولديه جاك كلود تتسم بالكثير من الصرامة والحسم حتى إنه أراد لجان كلود أن يكون عسكريا مثله لكنه تمرد ولم يلبث أن ترك أسرته حيث كان والده قد انتقل للعمل في ألمانيا وهرب إلى باريس وهو في سن الـ ٢٢، وهناك بدأ حياته الفنية بعد معاناة طويلة وقاسية مع الفقر والفشل.

وقد ساهم في توطيد علاقته بجان كلود بريالى منذ البداية شخصيته الطبيعية التي لا تكلف فيها ولا ادعاء، واهتمامه دائما بمن يحيطون به وكأنه يعرفهم منذ زمن بعيد، كما ساهم في ذلك أيضا كونه لا يجيد إلا الفرنسية والتي كان بعض أعضاء لجنة التحكيم سواء من الفنانين والمصريين أو الأجانب لا يجيدونها، وهكذا وجدت نفسى مضطرا لأن أكون طرفا في كل حوار لرئيس لجنة التحكيم مع بقية أعضاء اللجنة البالغ عددهم ١٢ عضوا منهم الأمريكي والأندونيسى، فكنت مترجما ومفسرا لكل منهم أنقل ما يقوله إلى الباقيين وكانت تلك مهمة ثقيلة خاصة حين كنت أضطر لترجمة آراء لا اتفق معها، بل أسعى لطرح رأى مخالف لها حول الأفلام المرشحة لجوائز المهرجان.

وقد أدى ذلك إلى ما يشبه المواجهة بيني وبين جان كلود بريالى حين دعوت لجنة التحكيم لضرورة تكريم السينما المصرية في المهرجان، بينما كان يرى معظم أعضاء اللجنة من الأجانب أن ما عرض على اللجنة من أفلام مصرية لا يرقى للحصول على أى نوع



جان كلود بريالى مع محمد سلماوى فى افتتاح مهرجان السينما

من التكريم فى مثل هذا المهرجان الدولى ، وهكذا كان على أن أشرح لأعضاء اللجنة بالإنجليزية ولرئيس اللجنة بالفرنسية.

ظروف السينما المصرية وكيف أنها تحاول الخروج من أسر الأفلام التجارية وأنه كانت هناك فى ذلك العام بعض التجارب التى نجحت فى تقديم سينما لا تسعى للربح التجارى الرخيص ، وأن تكريم المهرجان لها سببعت برسالة تشجيع لصناعة السينما المصرية مؤداها أن تلك الأفلام وإن لم تحظ بالأرباح الخيالية التى تحققها الأفلام التجارية الرخيصة التى كانت سائدة آنذاك فإنها على الأقل تحصل على التقدير الأدبى فى المهرجانات ، ولم يكن معى فى هذا الرأى إلا الفنانة نبيلة عبيد ، وكدنا نخسر المعركة لولا أن جان كلود بريالى نفسه اقتنع فى النهاية بهذا الرأى ووصلنا إلى حل وسط يقضى بأن يحصل الفيلم الفلسطينى الرائع (موسم الزيتون) على جائزة أفضل فيلم عربى كما قررت اللجنة ويحصل فيلم (حب البنات) المصرى على شهادة تقدير المهرجان ، وأذكر أن بريالى قال لى وقتها: إن تشجيع السينما على توخى الفن وليس الربح السريع هو قضيتنا جميعا ، ولذلك علينا أن نحرص عليه فى السينما العالمية كلها وليس فى السينما المصرية وحدها.

ولقد أمضينا وقتا طويلا فى الحديث خارج جلسات المشاهدة الخاصة بالمهرجان وفى إحدى هذه المرات سألته عن علاقته النسائية فى الوسط الفنى فقال لى بلا تردد كل ما عنده ، ومن بين ما قاله إنه كان يعشق الممثلة الفرنسية دانييل داريو قبل أن يصبح ممثلا وأنه حين قام بالتمثيل أمامها بعد ذلك كان يضطر لإعادة كل مشهد عدة مرات لأنه كان يتلعثم كلما نظر إلى عينيها ، أما أعظم تجاربه النسائية على حد قوله فهى تجربته مع أسطورة السينما الأمريكية آفا جاردنر والتى كثيرا ما وصفت بأنها (أجمل حيوان فى العالم) أما جين فوندا فقد أخبرنى أنه أمضى معها أسبوعا كاملا فى الفراش لكن ذلك -على حد قوله- كان فقط لدواعى تصوير الفيلم الذى كان يخرج زوجها آنذاك المخرج الفرنسى روجيه فاديم بعنوان (الدائرة).

أما المطربة الفرنسية اليونانية نانا موسكورى فقد كانت تجمعها بها صداقة متينة حتى أنه حين تقرر تكريمه فى حفل ختام المهرجان طلب أن تسلم الجائزة نانا موسكورى التى حضرت خصيصا إلى مصر لتقوم بذلك ، وحين رحل بريالى عن عالمنا فى الأسبوع الماضى وجدت مقالا مؤثرا فى رثائه بمجلة (بارى ماتش) الفرنسية كتبتة نانا موسكورى وقد تصدرته صورة لها هى وزوجها مع بريالى أمام أهرامات الجيزة.

سميح القاسم: أنا أوفر حظا من نجيب محفوظ!

من الأشياء التي أحزنت الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم أنه حين حضر إلى مصر في نوفمبر ٢٠٠٦م ليتسلم جائزة نجيب محفوظ للكاتب العربي والتي يمنحها اتحاد كتاب مصر كل سنة لكاتب من الدول العربية الشقيقة أثرى الحياة الأدبية بإنتاجه، فإنه لم يسعد بلقاء من تسمت بالجائزة باسمه والذي كان قد رحل عن عالمنا قبلها بثلاثة أشهر. كان أديبنا الأكبر نجيب محفوظ يكن للشاعر الفلسطيني سميح القاسم تقديرا كبيرا، وكثيرا ما حدثني عن أبياته الشعرية الفذة التي وصفها لي بأنها (ترقص أمام عينيك حيناً، وتدمى على الورق حيناً)، كما كان يكن له أيضا محبة خاصة نابعة من كونه فلسطينيا بكل ما تحمله فينا نحن العرب هذه الصفة من معان.



سميح القاسم يتسلم جائزة نجيب محفوظ

وعن معرفته بسميح القاسم قال لي محفوظ: لقد عرفت سميح القاسم من خلال أعماله أكثر مما عرفته شخصيا، فالمرات التي التقيت به فيها كانت أقل بكثير مما كنت أود قضاءه معه لنتحدث معا في الأدب والشعر وأمور الأمة العربية.

ثم قال : لقد هزنى شعر سميح القاسم القادم من داخل فلسطين حيث تمسك بوطنه ولم يترك الأرض لا قبل ولا بعد ١٩٤٨م، فهو من الفلسطينيين الذين تشبثوا بأرضهم برغم قيام إسرائيل، لكن هؤلاء يدفعون الآن الثمن مضاعفا بالاضطهاد الذى يتعرضون له داخل إسرائيل من ناحية ومقاطعتنا نحن لهم من ناحية أخرى، وشعر سميح يحمل بصمة كل هذه المعاناة.

أما سميح القاسم فكان تقديره لنجيب محفوظ غير محدود كرواى عملاق فتح آفاقا جديدة للرواية العربية، وكانسان يفيض محبة للبشر، وحين حدثته تليفونيا فى الخليل بفلسطين حيث يعيش لأدعوه لحضور المؤتمر العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب المنعقد فى مصر فى نوفمبر ٢٠٠٦م لم أقل له إن اللجنة المشرفة على جائزة الكاتب العربى قررت منحها ذلك العام له، بل اكتفيت بأن أخبرته بأن اتحاد كتاب مصر قرر أن يصبح اسم الجائزة الآن (جائزة نجيب محفوظ للكاتب العربى.. بدلا من (جائزة الكاتب العربى) فقال لى : لو كان أعضاء اللجنة أمامى الآن لقبلتهم جميعا على هذا القرار، فجائزة اتحاد كتاب مصر قيمتها المادية لا يستهان بها (عشرة آلاف دولار) لكن قيمتها الأدبية أكبر لكونها قادمة من كتاب مصر، وبهذا القرار تكونون قد أضفتم لقيمة الجائزة الأدبية والمادية معا.

وطوال فترة وجود سميح القاسم فى القاهرة لم أقل له إنه هو الذى سيتسلم جائزة نجيب محفوظ هذا العام، وإن كانت بعض الصحف كانت قد بدأت تستنتج ذلك منذ عرفت بوصول الشاعر الفلسطينى الكبير.

وكنا ذات مرة نستقل إحدى سيارات المؤتمر فى الطريق لحضور جلسة من جلسات المؤتمر، فإذا بالسائق يرحب بسميح ترحيبا حارا ويستأذن وهو يهم بركوب السيارة فى أن يقبله، وبعد أن ركبنا السيارة واصل السائق ترحيبه فسأله سميح : هل تعرفنى؟ قال له : طبعا أعرفك، أنت الشاعر الفلسطينى سميح القاسم ولقد شاهدتك بالأمس فى حوار فى التليفزيون، فتعجبت من سؤال سميح وقلت له : هل تتصور أن السائق يرحب هكذا بأى راكب يركب معه؟

فضحك سميح القاسم وروى لى أنه فى أول زيارة له لمصر فى الستينيات الماضية كان بصحبة زميله الشاعر الكبير محمود درويش وكانت الصحف آنذاك تحتفى بهما باعتبارهما شعراء الأرض المحتلة، وقد استقلا سيارة أجرة ذات يوم فرحب بهما السائق ترحيبا كبيرا لدرجة أنه قال لهما حين سألاه عن أجر المشوار إلى حيث يريدان الذهاب قال لهما إن الأجر على الله وأنه لن يتقاضى منهما أجرا.

ويقول لى سميح: لقد ظللنا أنا ومحمود درويش نتحدث فيما بيننا فى (التاكسى) عن سائقى سيارات الأجرة فى مصر وكيف يقدرّون الشعراء، وقال لى محمود: لا بد أنه تعرف إلينا من صورتى التى ظهرت اليوم فى (الأهرام)، وقلت له: بل هو ظهورى أمس فى التلفزيون، فلم يعجبه ذلك التفسير وأصر على أن صورته هى التى كشفت عن هويتنا. وبينما نحن نتجادل فيما بيننا إذ بالسائق يسألنا فجأة: ألا لا مؤاخذة كده البهوات بيشتغلوا إيه؟ فخرس كل منا مفاجئاً بالسؤال وغضب محمود درويش وطلب من السائق إنزاله فوراً من التاكسى.

وضحكنا أنا وسميح وقلت له إننا اخترنا للمؤتمر سائقين مثقفين ليتماشوا مع قيمة الضيوف وتحدثنا عن الجوائز الأدبية فى العالم، وروى قصة ترشيحه لأكبر جائزة أدبية فى إسرائيل وكيف رفضها بعد أن وضع شروطاً تعجيزية طالب فيها بضرورة إقرار حق الفلسطينيين فى إقامة دولة وبعض الاشتراطات الأخرى التى لم يكن من الممكن تليبيتها. ثم جاء وقت حفل الختام وفى جلسة مهيبة فى جامعة الدول العربية، وفى ذات القاعة الكبرى التى تشهد مؤتمرات القمة العربية نادينا على الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم ليتسلم (جائزة نجيب محفوظ للكاتب العربى) وسط تصفيق مدو للحضور الذين اكتظت بهم القاعة، ودهشة بادية على وجه الفائز.

وكانت فرحة الشاعر الفلسطينى عارمة وهو يصعد إلى المنصة لتسلم الجائزة، ثم وجه للحضور كلمة عاطفية شديدة التأثير تحدث فيها عن الوضع المأساوى الذى يعيشه الفلسطينيون داخل إسرائيل ثم تحدث عن الجائزة وسعادته بالحصول عليها وعن حبه لمن تسمت الجائزة باسمه ثم قال:

لقد فزت بجائزة نجيب محفوظ وفاز محفوظ بجائزة نوبل، لكنى أعتبر نفسى أوفر حظاً من نجيب محفوظ، فهو قد فاز بجائزة رجل اختراع الديناميت وارتبط اسمه بالحروب والتدمير، أما أنا فقد فزت بجائزة نجيب محفوظ الروائى العملاق الذى ارتبط اسمه بكل ما هو جميل وكل ما هو إنسانى رفيع!!

وبينما انفجرت القاعة بالتصفيق أخذت أفكر بينى وبين نفسى: كم كان أديبنا الأكبر سيسعد حين كنت سأنقل له ما قاله صديقه سميح القاسم.



خافير سولانا: لا أملك عصا ولا جزرة!

أتصور أنني كنت من أوائل من عرفوا نبأ تعيين السياسي الأسباني الكبير خافير سولانا سكرتيرا عاما للاتحاد الأوربي وذلك حين قابلت رئيس المفوضية الأوربية السابق جاك سانتير في بروكسل عام ١٩٩٩م قبل أن يترك منصبه بأشهر قليلة فأسر إلى لأول مرة بأن هناك (شبه إجماع) بين الدول الأعضاء على اختيار خافير سولانا الذي كان السكرتير العام لحلف شمال الأطلنطي في ذلك الوقت..

ويتميز خافير سولانا بأسلوب دبلوماسي رصين ويفضل العمل خلف الكواليس للتوصل إلى أهدافه بهدوء على مناقشة تفاصيل المشاكل الدولية التي يتعامل معها أمام كاميرات الصحافة والتلفزيون، لذلك فهو أكبر مخيب لآمال رجال الإعلام في أوربا على حد ما قاله لي مراسل إحدى الصحف البريطانية الكبيرة لأنه لا يؤمن بالتصريحات القوية التي يتطلع إليها رجال الإعلام بل يعتمد حين يسأل في شيء أن يهدئ من الموقف ويقلل من سخونته بما يساعد على التوصل إلى حل.



خافير سولانا يستقبل محمد سلماوى

ولقد سألت سولانا ونحن جلوس بجناحه بأحد الفنادق بالقاهرة بينما أحاط بالجناح جموع من الصحفيين ومصورى التلفزيون: لماذا أنت محاط دائما بعدسات الإعلام برغم أنك نادر ما تقدم لهم التصريحات النارية التي يتطلعون إليها قال: أنا لا أسعى إليهم، هم الذين يسعون إلى، فهم يأملون دائما أن أقول لهم شيئا مهما وهذا لا يحدث أبدا، لأنى حين يكون لدى شيء مهم أفضل أن أستخدمه فى مباحثاتي مع الأطراف المعنية حتى أصل من خلاله إلى النتيجة المرجوة بدلا من أن أقدمه للصحف تلهو به فى عناوينها.

كان ذلك فى صيف عام ٢٠٠٣م وكنت أنا الصحفى الوحيد الذى التقى به سولانا أثناء زيارته للقاهرة آنذاك والتي جاءت ضمن جولة فى المنطقة كان الهدف منها هو تطبيق خريطة الطريق الخاصة بالشرق الأوسط وكان سولانا غاية فى التفاؤل وهو يحدثنى عما أسماه (الفرصة السانحة) Window of opportunity والتي ستسمح بتحريك القضية بعد فترة طويلة من الركود. لم أكن أشاركة ذلك التفاؤل بعد أن فقدت خريطة الطريق مصداقيتها لدى جميع الأطراف، فقلت: لقد قابلتك فى أكتوبر الماضى فلم تكن بمثل هذا التفاؤل، فماذا حدث؟

قال لى إنه التقى قبل أيام بالرئيس الأمريكى جورج بوش فوجده جادا فى تنفيذ خريطة الطريق (وإذا تحمست أمريكا زالت أهم عقبة أمام تلك الخريطة)، ولكنى كنت أعتقد أن حماس بوش سببه حرب العراق التى قلبت الرأى العام العربى ضده فلجأ إلى القضية الفلسطينية لتعويض ذلك.

قال سولانا: وما الضرر؟ المهم أن نستثمر تلك الجدية الأمريكية فى التوصل إلى حل، قلت: مادامت إسرائيل ضد خريطة الطريق فإن حماس الرئيس الأمريكى لن يدوم طويلا، لقد وضعت إسرائيل ما يقرب من مائة تحفظ على بنود تلك الخريطة، وبرغم أنها اختصرتها بعد ذلك إلى عشرين تحفظا، وبرغم أن الولايات المتحدة أعلنت رسميا أن الخريطة يجب أن تنفذ دون تعديل فإن الرفض الإسرائيلى كان هو العنصر الأساسى فى المعادلة وسيتبعه - فى رأبى - إن آجلا أو عاجلا انصراف أمريكى عن تلك الخريطة. وحين التقيت بسولانا بعد ذلك بعام كامل كانت خريطة الطريق قد أصبحت فى خبر كان وأثناء حديثى معه لم يتعرض أى منا لها من قريب أو بعيد.

لكنى أروى تلك القصة لأدلل على أن سولانا برغم كل ما يقال عن أنه لا يسعى إلى الإعلام فهو يسعى إليه باستمرار ولكن بطريقته وهو يعتبر الإعلام إحدى الوسائل الأساسية فى طريقته الدبلوماسية.

ففى لقاءى معه عام ٢٠٠٣م رفض سولانا لقاء كاميرات التليفزيون ورفض التصريح بأى شىء لمراسلى الصحف لكنه التقى بى فى محاولة لنقل إحساس التفاؤل الذى كان يملأه إلى حتى أقوم بدورى بنقله إلى الرأى العام من خلال ما يمكن أن أكتبه من مقالات تحليلية هادئة ربما اكتسبت مصداقية أكثر لدى القراء لأنها قادمة من كاتب عربى وليس مما يمكن أن ينقله أحد مراسلى الوكالات الأجنبية الذين كانوا يحيطون بجناحه فى الفندق، وأيضاً دون أن يضطر سولانا نفسه للإفصاح عن ذلك الشعور بالتفاؤل الذى إذا لم يتحقق عاد على صورته الدبلوماسية بالضرر.

تلك هى أحد معالم الأسلوب الدبلوماسى الهادئ الذى يتبعه سولانا فى معاملته مع القضايا الدولية، ولقد صارحته بذلك فضحك وقال: إذن فقد أرجعت أهم خصائصى الدبلوماسية إلى استخدامى لسلاح الإعلام!

قلت: وما هى فى تصورك أهم خصائص أسلوبك الدبلوماسى .. بعيداً عن استخدامك للإعلام؟

قال: أولاً أنا أعتمد على قوة حجتى وعلى قدرتى على الإقناع، فالاتحاد الأوروبى لا يملك الجيوش ولا الأساطيل التى يستطيع أن يضغط بها على البعض كما تفعل الدول الكبرى، كما أننى لا أملك أيضاً المغريات التى تتمتع بها تلك الدول فليس بإمكانى مثلاً أن أعد أحداً بعقود تجارية مجزية ولا باستثمارات ضخمة، صحيح أن الاتحاد الأوروبى يقدم المعونات المادية لكن تلك مسئولية إدارة أخرى فى الاتحاد لا أحتكم عليها، أى إننى لا أملك عصا ولا جزرة لذلك أعتمد على قدرتى على إقناع الطرف الآخر أن الحل الذى نسعى إليه هو فى صالحه.

ويصمت سولانا قليلاً ثم يعود فيقول: على أن أضيف أيضاً نقطة قوة أخرى وهى أن الاتحاد الأوروبى الذى أمثله يختلف عن الدول الأعضاء به فى أن كلا من هذه الدول يتحرك وفق مصالحه المادية، وقد كان تشرشل هو الذى قال: قل لى مصالحك الاقتصادية أقل لك سياستك، أما الاتحاد الأوروبى فليست له مصالح اقتصادية خاصة لذلك فإن سياسته يجب أن ترتكز على المبادئ الكبرى مثل سيادة القانون والالتزام بالشرعية الدولية ودعم حقوق الإنسان، (وتلك كلها مبادئ غاية فى الأهمية خاصة حين نتحدث عن الشرق الأوسط).

قلت: إن ذلك يجعلك على النقيض من وزراء خارجية الدول الكبرى الذين يوجهون سياسة بلادهم وفق الصالح القومى لبلادهم، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل

للاتحاد الأوربي مواقف أكثر تقدما من الدول الأعضاء فيه ، وقد لمسنا ذلك بوضوح منذ إعلان فينسيا.

قال : هذا صحيح ، وهو يدفع الدول الأعضاء نحو هذه المواقف لأنها تقوم على مبادئ لا يختلف عليها أحد.

ويعتبر خافيير بيريز سولانا (٦٥ عاما) من أكثر رجال السياسة الأوربيين مرونة ، وهو سياسى من نوع متميز ، وقد بدأ حياته عضوا قياديا فى حزب العمال الاشتراكى الأسبانى عام ١٩٦٤م وانتهى به الأمر عام ١٩٩٥م سكرتيرا عاما لحلف شمال الأطلنطى ، وما بين هذا وذاك شغل سولانا مناصب وزارية متعددة فى بلاده كان أبرزها وزير الخارجية والمتحدث الرسمى باسم الحكومة الأسبانية.

وكان سولانا يمثل فى بداية حياته أقصى درجات اليسار فى الحزب الاشتراكى الأسبانى برغم خلفيته البرجوازية فهو سليل إحدى العائلات الثرية التى أنجبت الكاتب والدبلوماسى الأسبانى الكبير سلفادور دى مادارياجا روخو ، وقد كان وزير الخارجية الأمريكى الأسبق وارين كريستوفر أول من تنبه لقدرات سولانا الدبلوماسية وقت كان وزيرا لخارجية أسبانيا فى بداية التسعينيات حيث ساهم بشكل ملحوظ فى إنجاح مؤتمر مدريد الخاص بالشرق الأوسط عام ١٩٩١م ، ولم يكن غريبا أن يرأس سولانا بعد ذلك حلف شمال الأطلنطى برغم أنه ليس عسكريا ، وقد كانت تلك سابقة جديدة فى تاريخ الحلف.



فاطمة رشدى: عبد الوهاب كان طماعا!

لم يكن أحد قد عاد يسمع عن فاطمة رشدى فنانة المسرح الشامخة التى أطلقت عليها أسطورة المسرح العالمى سارة برنار بنفسها لقب (سارة برنار الشرق) إلى أن جاءتنى فى أواسط التسعينيات الماضية محررة شابة من العاملين فى (الأهرام إبدو) تقول إنها عثرت على فاطمة رشدى فى أحد (البنسيونات) الصغيرة الواقعة وسط البلد وأنها علمت أن عيد ميلادها فى اليوم التالى، فقلت لها أن تبلغها أننا ندعوها كى نحتفل فى (الإبدو) بعيد ميلادها.

كانت السنون قد فعلت فعلها فى فاتنة المسرح المصرى ورائدته الأولى بعد فاطمة اليوسف، ولم أتبين إلا بصعوبة ملامح ذلك الوجه الذى ملأ سماء الفن فى مسرحيات أمير الشعراء أحمد شوقى فى بدايات القرن الماضى وفى فيض من أشهر المسرحيات العالمية التى كانت أكثرها نجاحا مسرحية (النسر الصغير).. كان وجهها جميلا يعبر فى نفس الوقت عن أنوثة طاغية وعن قوة شخصيتها، وقد خلدته الشاشة الفضية فى عدد من الأفلام المهمة والتى كان من بينها فيلم (العزيمة) الذى أخرجه زوجها الثانى كمال سليم وكان علامة فاصلة فى تاريخ السينما المصرية.

كانت الأنوثة قد زالت وأفسحت مكانها للأنهار والجدال التى حفرتها الأيام على صفحة وجهها المترهل، لكن حضورها المسرحى كان مازال طاغيا وعينيها لم يبرحهما قط ذلك الذكاء المتقد.

كانت ترتدى فستانا متواضعا هو أقرب إلى الجلباب وقد غطت رأسها بطرحة بيضاء مثل نساء الأحياء الشعبية، وقد أخبرتنى الزميلة شيرين عبد العظيم أنها عثرت عليها فى غرفة أقل من المتواضعة فى الدور الثانى ببنسيون فقير فى شارع الجمهورية بالعتبة، وأن الغرفة كان بها حوض للاغتسال إلى جوار السرير لكن لم يكن بها حمام.

حين جاءت فاطمة رشدى كان معى بمكتبى الشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى الذى فوجئ حين قلت له إن تلك السيدة هى فاطمة رشدى فانحنى على الفور على يدها

وقبلها فى احترام وإجلال قائلاً إنه طالما شاهد عروضها المسرحية وهو طالب بالجامعة حيث كانت قد خصصت يوماً فى الأسبوع لاستقبال طلبة الجامعة فى مسرحها بسعر دخول رمزى هو خمسة قروش وهو ما استحققت بسببه لقب (صديقة الطلبة).

وقد روت فاطمة رشدى بعض ذكرياتها فقالت إنها عينت محمد عبد الوهاب فى فرقتها المسرحية بأجر قدره أربعة جنيهات فى الليلة، لكنه (طمع) بعد ذلك فزادتهم إلى خمسة جنيهات، إلى أن طلب منها بعد فترة أن تدفع له ١٤ جنيهات فى الليلة فقالت له (الباب يفوت جمل)! واستغنت عنه..

ثم تحكى عن بداياتها الأولى فى الإسكندرية حيث ولدت هى وأختها لأم يوجوسلافية فتقول إن والدها كان يمتلك مصنعا للحلاوة الطحينية، لكنه توفى واستولى شريكه على المصنع فوجدت عائلتها نفسها فى الشارع، إلى أن تمكنت شقيقتها رتيبة وإنصاف من العمل بالغناء فى مسرح أمين عطا الله مع المطربة ذائعة الصيت آنذاك فتحية أحمد، وفى إحدى الليالى اختلقت فتحية أحمد مع مدير الفرقة حول الأجر وتركت له المسرح قبل فتح الستار بقليل، وكان عمر فاطمة رشدى آنذاك عشر سنوات لكنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كل أدوار سيد درويش التى كانت تغنيها فتحية أحمد فذهبت بجرأتها المعتادة وعرضت على المدير أن تغنى بدلا من فتحية أحمد، وفى ظروف عادية كان سيصرفها على الفور، لكنه إزاء الورطة التى كان فيها بعد مغادرة فتحية أحمد للمسرح قبل أن يستمع إلى تلك الطفلة التى كانت تصحب شقيقتها كل يوم إلى المسرح فغنت له دور (طلعت يا محلى نورها) فعينها على الفور، وكان يعطيها كل يوم قطعة (شكولاته) لكنها فعلت كما فعل معها عبد الوهاب بعد ذلك فطلبت من صاحب الفرقة زيادتها إلى قطعتين.

وهكذا بدأت فاطمة رشدى حياتها الفنية بالغناء وليس بالتمثيل، أما دخولها مجال التمثيل فكان حين انتقلت مع أسرتها إلى القاهرة وتعرفت إلى نجيب الريحانى الذى نصحتها هى وشقيقتها بالسفر إلى بورسعيد لوجود فرقة هناك تبحث عن مطربات، وحين وصلت فاطمة رشدى إلى بورسعيد وجدت أن الفرقة هى فرقة سيرك، فتقول: كنا نغنى وسط الحيوانات والمهرجين ولاعبى الأكروبات لذلك ما لبثت أن عدتُ إلى القاهرة حيث تعرفت إلى الأديب والكاتب المسرحى محمد تيمور الذى عرفها على مخرج جديد عائد من دراسته فى باريس اسمه عزيز عيد فأصبح أستاذاً وكانت تأخذ رأيه فى كل شىء.

ثم تقول فاطمة رشدى: فى مرة جاءنى عريس ولم أكن قد أكملت عامى العشرين بعد، وسألت الأستاذ عزيز عيد عن رأيه فرفض زواجى بشدة قائلاً إن على أن أركز على مستقبلى الفنى، ففعلت ما قاله، لكنه ما لبث بعد فترة وجيزة أن أشهر إسلامه وتزوجنى برغم فارق السن الذى كان بيننا!

وتضيف فاطمة رشدى: إن عزيز عيد أحضر لى ١٣ معلماً فى البيت لتعليمى القراءة والكتابة والقرآن والتاريخ والفن وعلم النفس وغيرها، أما هو فكان معلمى الأوحى فى التمثيل وفن الإلقاء وبعد أن أكمل عزيز عيد تعليم فاطمة رشدى رفع الستار ذات ليلة عن بطلته الجديدة فى مسرحية (توسكا) فصارت نجمة بين يوم وليلة وتوالت مسرحياتها ما بين النصوص العالمية والعربية.

وتقول فاطمة رشدى إن أمير الشعراء حين شاهدها على المسرح وقيل له إنها هلال جديد فى سماء المسرح قال: إن هذا الهلال سيتحول قريباً إلى بدر، ثم تؤكد أن شوقى كتب لها خصيصاً مسرحية (مصرع كيلوباترا) والتي قام فيها عبد الوهاب بدور أنطونيو، كما مثلت له أيضاً مسرحية (مجنون ليلى) و(أميرة الأندلس).

وهكذا تصبح فاطمة رشدى أول سيدة تحصل على أدوار البطولة فى المسرح بعد اعتزال فاطمة اليوسف واتجاهها إلى الصحافة، وقد سبقت بذلك زينب صدقى وأمينة رزق ودولت أبيض وروحية خالد وزوزو حمى الحكيم وفرىوس حسن ونجمة إبراهيم، بل إن بعض هؤلاء مثل أمينة رزق وزينب صدقى كن يقمن بالأدوار الثانوية إلى جوار الفنانة الكبيرة فاطمة رشدى التى كانت أكبر نجمة فى سماء المسرح العربى فى ذلك الوقت.

وتجئ فترة الحرب العالمية الثانية وتصاب الحركة المسرحية بالركود وتحل الفرق المسرحية نفسها فتتوقف فاطمة رشدى عن العمل لفترة ثم تعود إلى شقيقتيها مرة أخرى لتغنى معهما فى النوادى الليلية، فتقدم المنولوجات بمصاحبة الموسيقى التى كان يضعها لها فنان شاب من اكتشفها اسمه فوزى الحلوى وقد أصبح بعدها نجماً كبيراً فى عالم الموسيقى عرف باسم محمد فوزى.

ولقد روت فاطمة رشدى بعض تلك الذكريات فى وجود محررى (الأهرام إبدو) بعد أن انتقلنا إلى صالة التحرير حيث احتفلنا بعيد ميلادها وبعد أشهر قليلة رحلت فاطمة رشدى عن عالمنا تاركة لنا الذكريات التى روتها لنا على ما يقرب من الساعتين.



آلان روب جرييه: أقلعت عن كتابة الرواية!

الكاتب الروائي الفرنسي الكبير آلان روب جرييه هو أبو الرواية الجديدة في فرنسا التي أطلق عليها النقاد اسم الرواية الضد anti roman وكانت أول رواياته هي Des Gommés أى (الاستيكة) التي صدرت عام ١٩٥٣م فبدأت مدرسة جديدة تماما في الرواية الفرنسية، انتمى إليها عدد كبير من أهم روائىي فرنسا فى النصف الثانى من القرن العشرين، لذلك فقد دهشت حيث قال لى فى خريف عام ٢٠٠٤م إنه قد أقلع نهائيا عن كتابة الرواية!



آلان روب جرييه

كان لقاءنا فى القاهرة أثناء زيارة قام بها الروائى الفرنسي الكبير آلان روب جرييه إلى مصر فى سبتمبر من عام ٢٠٠٤م، وكان قد مضى أكثر من نصف قرن من الزمان على الصعود الفلكى لنجم روب جرييه فى سماء الأدب الفرنسي والعالمى، حيث تحول إلى أسطورة بعد أن قلب موازين الرواية رأسا على عقب فأنتهى تماما الاعتماد على الشخصيات التي كان يبذل روائيو القرن الـ ١٩ جهدا كبيرا فى رسم تفاصيلها، كما أنهى أيضا الاعتماد على (الحدوتة)، مما جعل البعض يقول إن الرواية الجديدة لا يحدث بها شيء، لذلك كان سؤالى لروب جرييه: هل صحيح أن الرواية الجديدة ليس بها أحداث؟

قال على الفور: تلك نظرة قاصرة، فرواياتي التي صنفها النقاد على أنها (الرواية الجديدة) أو (الرواية الضد) مليئة بالأحداث لكنها كانت جديدة لأنها تقدم الأحداث بشكل مختلف عما يتوقعه القارئ.

وتذكرت رواية (الغيرة) التي صدرت عام ١٩٥٧م واسمها بالفرنسية Jalousie وهي كلمة تعنى الغيرة كما تعنى أيضا (شيش) النافذة، وتصور غيرة زوج من علاقة زوجته بجار لهما، وقد كان الزوج يتابع لقاءاتهما في مزرعة الموز التي تجرى بها الأحداث من خلف (شيش) نافذته، لقد كان موضوع الرواية ليس الأحداث التي تقع بين الزوجة والجار ولا بين الزوج وزوجته، وإنما كان الموضوع هو الغيرة ذاتها والتي كانت ترصد الأحداث من خلال (شيش) النافذة.

وقد لا يعرف البعض أن آلان روب جرييه دخل الأدب من باب علم النبات، وأنه تخصص بالذات في زراعة الموز وربما كان هذا أحد الأسباب في أن التحليل والتشريع يأخذان الصدارة في أعماله الروائية، وقد اتضح ذلك بشكل جلي في رواية (الغيرة).

وكانت رواية (قتل الملك) هي أولى روايات آلان روب جرييه، فقد كتبها عام ١٩٤٩م لكنها لم تنشر إلا في الخمسينيات بعد أن كانت رواية (الأستيكة)، قد حددت معالم مدرسته الجديدة التي أصبح ينضوى تحت لوائها عدد من أهم كتاب الرواية الفرنسيين في فترة أواسط القرن الماضي والذين كان من بينهم ميشيل بوتور وكلود سيمون الذي حصل بعد ذلك على جائزة نوبل وناتالي ساروت ومارجريت دوراس.

لكن (الرواية الجديدة) التي ملأت الدنيا ضجيجا في الخمسينيات والستينيات سرعان ما انطفأت جذوتها وتوارى كتابها عن المشهد الأدبي ليدخلوا أضاير التاريخ باعتبارهم كانوا يمثلون مرحلة مهمة في تاريخ الفن الروائي في العالم، لكنهم لم يعد لهم مكان على الساحة المعاصرة، وهكذا فإنك تبحث اليوم عن أى عمل أدبي لأديب نوبل كلود سيمون في المكتبات الفرنسية فلا تكاد تجده، وأما ميشيل بوتور فقد اعتمدت شهرته على الروايات الثلاث التي كتبها في الخمسينيات ولم يلتفت كثيرا لروائيتين أخريين كتبهما بعد ذلك.

والحقيقة أن اتباع (الرواية الجديدة) الذين فلتوا من مصيرها فاستمروا يكتبون الرواية بنجاح، هما الكاتبتان مارجريت دوراس وناتالي ساروت، وأما أبو (الرواية الجديدة) نفسه فقد انصرف عنها في السنوات الأخيرة.

سألت آلان روب جرييه : ماذا تكتب الآن؟.. فقال أنا لا أكتب ولكنى أصور، قلت ماذا تقصد؟.. قال : لقد توقفت عن كتابة الرواية وأقوم الآن بإخراج الأفلام السينمائية. قلت : لكنك أخرجت أفلاما قبل ذلك وكتبت لها النص دون أن تترك الرواية. قال : لكنى الآن أتركها. قلت : هل تتركها لأنها تركتك؟..

نظر إلى مستفسرا فقلت : لقد كانت (الرواية الجديدة) صعبة على القراءة، بل إنها استعصت على البعض تماما وأصابت البعض الآخر بصدمة ربما كانت هي التي جعلتهم ينصرفون عنها بعد ذلك.

قال : إن أعمال (الرواية الجديدة) اعتمدت في معظمها على خلفية فلسفية سواء في رواياتي أم روايات غيري، وبعض الناس قد تعودوا على القراءة السهلة فأصبحوا يسعون إلى الكتاب الذى يستطيعون أن يصحبوه معهم فى القطار أو الأتوبيس، لكن هذا ليس من الأدب فى شىء وليس من الفن فى شىء، إن الفن الحقيقى هو ذلك الذى يصدم الناس ويتحدى مفاهيمهم المسبقة، وكل مدرسة جديدة فى الأدب أو الموسيقى أو الفن التشكيلى صدمت الجمهور فى البداية وسببت لهم اضطراباً فى مفاهيمهم لكنهم تعودوا عليها بعد ذلك وصاروا يتقبلونها بسهولة، والحقيقة أن المدرسة الفنية تسقط ويصبح الفن فى حاجة إلى مدرسة جديدة فى ذات الوقت الذى يعتاد فيه الناس تلك المدرسة فيستطيعون قراءة أعمالها فى القطار أو الأتوبيس.

قلت : هل ترى أن الناس تعودوا على الرواية الجديدة؟ أم أنهم تركوها وعادوا مرة أخرى فى السنوات الأخيرة إلى تقاليد الرواية القديمة من العناية برسم الشخصيات والاهتمام بالأحداث؟

قال : وقت كانت (الرواية الجديدة) هى المسيطرة على الساحة الأدبية لم يكن من الممكن لروائى أن يكتب وفق القواعد القديمة، لكن بعد أن أكملت (الرواية الجديدة) دورتها وأخذت مكانها جنباً إلى جنب مع المدارس الأخرى وأصبح من الممكن أن تجد روايات مكتوبة بأسلوب آخر غير أسلوب (الرواية الجديدة)، لقد حققت (الرواية الجديدة) أهدافها، وإذا كانت لا تمثل الاتجاه السائد الآن فإنها تركت بصماتها واضحة على الفن الروائى وحتى إذا كتب أحدهم رواية على غرار روايات القرن الـ ١٩ فإنه يكتبها الآن بشكل مختلف لأنه قد

تأثر بشكل أو بآخر بـ (الرواية الجديدة) وما قدمته من أساليب جديدة.
وربما كان أكبر دليل على ما قاله روب جرييه من أن (الرواية الجديدة) التي استعصت
فى البداية على الفهم قد أصبحت الآن مدرسة تقليدية معترفا بها هو قرار (الأكاديمية
الفرنسية) بضم آلان روب جرييه إلى عضويتها، فالأكاديمية التي تماثل عندنا المجمع
اللغوى تعتبر قلعة الاتجاه المحافظ فى الأدب الفرنسى.

قلت : لك رواية اسمها (المتلصص) Le Voyeur تدور حول شخص يحقق فى جريمة
قتل فتاة قبل أن تقع وينتهى به الأمر بارتكاب تلك الجريمة بنفسه.
فقاطعى قائلا: إنها سيرتى الذاتية، إن كل الروايات هى سير ذاتية لأصحابها،
صحيح أننى لم أقتل أية فتاة فى حياتى، لكن أحد المحللين النفسيين قال لى ذات مرة:
حسنا فعلت أن كتبت تلك الرواية، ولو لم تكتبها لربما ارتكبت جريمة قتل بالفعل.
قلت: ألا ترى فى هذه الرواية نبوءة؟ أليست تلك الفتاة التي قتلتها هى ذاتها (الرواية
الجديدة) التي قتلتها بأن أهملتها وانصرفت عنها إلى السينما؟
قال: لم يقل لى أحد ذلك من قبل.



بطرس بطرس غالى: مبارك لم يرغب فى ترشيحي للأمم المتحدة!

قلت للدكتور بطرس بطرس غالى الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة: بعد كل ما أصدرته من كتب منذ تركت (مبنى علبة الكبرى) بنيويورك عام ١٩٩٦م فإن الإحساس العام سواء فى مصر أم فى الخارج هو أنك لم ترو بعد قصة خروجك من الأمم المتحدة، فقال على الفور: هذا صحيح لكن ليس كل ما يعرف يقال، لقد كنت فى موقع حساس والكثير من المعلومات التى كانت لدى وصلتنى بحكم منصبى ولا أستطيع الآن بعد أن تركت هذا المنصب أن أفشيها!



د. بطرس بطرس غالى

كنا نجلس فى غرفة جلوس منزل الدكتور بطرس على نيل الجيزة وتذكرت جلسة سابقة فى مكتبه بمنظمة الفرانكفونية بباريس وقد سألته: لماذا تركت الأمم المتحدة؟ فقال لى: أنا لم أتركها، بل هى التى تركتنى! وقد ذكرته بذلك ونحن جلوس فى منزله بالجيزة، فقال: إن لكل شىء ثمنا، وفى بعض الأحيان قد يجد المرء أن الثمن الذى عليه أن يدفعه يزيد على ما سيحصل عليه فى المقابل فيرفض الشراء، وأنا كان أمامى أن أشتري السنوات الباقية من فترة رئاستى للأمم المتحدة، وقد عرض على ذلك بالفعل حين أخبرنى أحد أعوان الرئيس الأمريكى أنه من

الممكن أن أكمل فترة رئاستى وأن أحتفل بعيد ميلادى السبعين فى البيت الأبيض، لكنى رفضت ذلك العرض.

وأحسست أن هذا هو كل ما يريد أن يقوله الدكتور بطرس بطرس غالى حول هذا الموضوع فى الوقت الحالى، فحولت دفة الحديث تاركا له اختيار الوقت المناسب فى المستقبل

الذى قد يقرر فيه أن يفصح عن خفايا هذا الموضوع ويروى القصة الحقيقية لخروجه من الأمم المتحدة والتي لا نعرف من تفاصيلها إلا أن الولايات المتحدة هي التي كانت وراء هذا القرار، وأن مادلين أولبرايت المندوبة الأمريكية فى الأمم المتحدة آنذاك والتي اصطدمت بشدة مع السكرتير العام المصرى كانت هي بالتحديد أداة هذا القرار.

ومن الغريب أن مصر لم تكن متحمسة فى البداية لترشيح الدكتور بطرس بطرس غالى لرئاسة الأمم المتحدة، كان ذلك فى صيف عام ١٩٩١م وكان قد تم ترقية الدكتور بطرس فى الوزارة من وزير دولة للشئون الخارجية إلى نائب لرئيس الوزراء وقد روى لى الدكتور بطرس آنذاك فى مكتبه بالخارجية أن الوزارة كانت تتلقى تقارير من سفرائنا فى مختلف البلدان الأفريقية والتي كانت ترشح اسم وزير الدولة المصرى الذى ارتبط بسياسة التقارب مع إفريقيا لرئاسة الأمم المتحدة فى الفترة القادمة خلفا لبييرزى دى كويار الذى كانت فترة رئاسته ستنتهى مع نهاية عام ١٩٩١م، وقد كان الاتجاه السائد آنذاك أنه قد آن الأوان أن ترأس المنظمة الدولية شخصية إفريقية، لكن الرئيس حسنى مبارك كان يرد على تلك التقارير- حسبما قال لى الدكتور غالى- قائلا إن مصر لا تفكر فى ذلك فى الوقت الحالى، وعندما تكرر مثل هذا الرد من مصر أكثر من مرة أصبح واضحا للجميع أن الرئيس لا يؤيد هذا الترشيح.

لكن حدث أن حضر الدكتور بطرس مؤتمر القمة الأفريقية نيابة عن الرئيس مبارك فى أبوجا فى صيف عام ١٩٩١م حيث تم بحث موضوع تقديم مرشح إفريقي لرئاسة الأمم المتحدة، وقدم الرئيس النيجيرى إبراهيم بابا نجيدا للرؤساء قائمة من عدة مرشحين لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة، وقد أثارت هذه القائمة الكثير من الخلافات بين الرؤساء الحاضرين لأن الأسماء الواردة فى القائمة كانت تنتمى جميعها إلى مجموعة ثقافية واحدة وهى الدول الأفريقية المتحدثة باللغة الإنجليزية، وقوبلت هذه الأسماء باحتجاجات عنيفة من رؤساء الدول المتحدثة باللغة الفرنسية، وثارت الأسئلة: أين إفريقيا الفرنكوفونية؟ وأين إفريقيا العربية؟ ولماذا لا يوجد ممثل عن شرق إفريقيا وآخر عن شمالها؟

وقد كانت الفكرة من إعداد هذه القائمة هى ضمان ألا يذهب المنصب هذه المرة لدولة غير أفريقية، وفى حالة الاتفاق على مرشح إفريقي واحد فإذا ما تم رفضه لأى سبب فى مجلس الأمن تكون الفرصة قد ضاعت على إفريقيا أما فى حالة وجود أكثر من مرشح فهذا

يعطى فرصة أكبر أمام أعضاء المجلس لاختيار مرشح من بينها، وإذا رفض اسم يمكن اختيار الآخر.

ويقول الدكتور بطرس غالى: لقد وعدت الرؤساء الأفارقة الذين رشحوني لهذا المنصب فى اجتماع القمة أن أعرض الأمر مرة أخرى على الرئيس مبارك، وعند عودتى إلى القاهرة أحطت الرئيس علما بالموضوع ونقلت إليه قرار القمة الأفريقية بتشكيل لجنة من ٥ أو ٦ رؤساء من بينهم الرئيس مبارك نفسه للاتفاق على قائمة جديدة بأسماء المرشحين، ولقد وافق الرئيس أخيرا على أن يكون المرشح المصرى ضمن قائمة المرشحين الأفارقة وذلك نزولا على رأى الدول الأفريقية.

وبالطبع ما أن أصبح ترشيح الدكتور بطرس غالى رسميا ضمن قائمة الأسماء التى تقدمت بها الدول الأفريقية حتى ثارت ثائرة (اللوبي) الصهيونى، خاصة فى الولايات المتحدة.. وقد أعلنت بعض الدوائر اليهودية فى الولايات المتحدة رفضها القاطع لهذا الترشيح وحاولت أن تضى على رأيتها مسحة موضوعية حين قالت إن مصر طرف أساسى فى واحدة من أهم النزاعات التى ستكون على جدول أعمال الأمم المتحدة فى الفترة القادمة، وربما كان من الأفضل أن يأتى السكرتير العام الجديد من دولة لا تتصل بهذا النزاع.

لكن رد الدكتور بطرس فى ذلك الوقت كان قاطعا، وقد ضحك وهو يقول لى: الحقيقة أن محاولات التسوية الخاصة بقضية الشرق الأوسط جرت كلها فى الفترة الأخيرة خارج إطار الأمم المتحدة، ولقد كدنا نستجدى المنظمة الدولية أن تتولى مسئولياتها فى هذا الشأن لكن دون جدوى، فقد كانت إسرائيل نفسها ومن ورائها الولايات المتحدة ضد إشراك الأمم المتحدة فى أى تسوية، لكنى بالطبع ضد هذا الوضع وأتمنى أن تكون الأمم المتحدة وقراراتها الخاصة بهذه القضية هى المرجعية فى أى تسوية قادمة.

ثم أضاف: إن الحقيقة التى ينبغى التأكيد عليها هى أن جنسية السكرتير العام وفق تقاليد الأمم المتحدة تنحى جانبا بمجرد أن يصبح موظفا دوليا فلا يصح أن يشار له على أنه مصرى أو نرويجى أو نمساوى.

قلت: إذا كان لك أن تختار شخصية واحدة تعتبرها أهم من قابلت فى حياتك، فمن تكون؟

قال على الفور: نيلسون مانديلا، وقد أسر إليك أنه من دواعى اعتزازى أننى كان لى دور ما فى إطلاق سراح هذا الرجل العظيم، وهو لم يوجه إلى كلمة شكر صريحة فى هذا

الموضوع لكنه فعل ما هو أكثر.

قلت : هل سيأتى اليوم الذى تفصح فيه عن هذا الموضوع ضمن موضوعات أخرى مازالت طى الكتمان؟.

قال : لا أظن.

وورد إلى خاطر وأنا جالس مع الدكتور بطرس بطرس غالى فى منزله بالجيزة وأماننا النيل ينساب فى هدوء برغم ضجيج الشارع، فطرحت عليه سؤالا كثيرا ما جال بخاطرى : لماذا قبلت أن ترأس منظمة الفرائكوفونية؟ ولماذا قبلت أن ترأس المجلس القومى لحقوق الإنسان؟ ألم تكن تريد أن يظل منصبك على رأس أكبر المنظمات الدولية هو آخر مواقعك فى الذهن العام؟

سكت الدكتور بطرس غالى قليلا ثم قال فى هدوء النيل المنساب أماننا: هل تصورت شعور الإنسان الذى كانت حياته لا تتسع لما عليه أن يقوم به من أعمال حين يصحو من نومه ذات يوم فلا يجد ما يعمله؟..

لم أرد، فواصل حديثه: إن واجب الإنسان أن يظل يعمل.. مادام قادرا على العطاء.

